حمام أم الرشراش

(قصص قصيرة)

فؤاد حجازى

أدب الجماهير

الإبداع طريق التقدم

كتاب أدبي يشرف عليه:
فؤاد حجازي

المراسلات :
المنصورة – ش المندراوي ٠
عمارة الفردوس ٠
جوار مدرسة الشيخ حسنين٠
الرمز البريدي ٣٥١١١
ت : ٢٢٤٧١٦٨ / ٠٥٠



بطاقة فهرسة
فهرست أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

حجازى ، فؤاد
حمام أم الرشراش ، قصص قصيرة
فؤاد حجازى
سلسلة أدب الجماهير
الطبعة : الأولي
الناشر : دار الإسلام للطباعة والنشر المنصورة
2006
المقاس : 14.5 × 21 سم
الصفحات : 100 صفحة
ترقيم دولي :×- 194-374-977
1- القصص العربية القصيرة
أ- العنوان

813.06

غراميات أومباشي*

ثمة نوافذ سهرانة تلوح من بعيد .. والقاهرة ساجية تلعق أقدام الليل أسفل التل المقام عليه مدينة نصر . وتبدو العمارات كأنها بنيت من منتصفها .

والصحراء أمامها لم تعد صحراء .. امتزجت ذرات رماها بذرات لون الليل التى لم تكن معتمة ، فضوء القمر يتسلل فى رفق ويجرح سكون الكون .. والأفق يلتحم بالأرض ، وتلاشى وجود أي خط فاصل بينهما . وبضعة سحائب صدفية التشكيل ، غمامية اللون. ولا هواء . رطوبة ندية مفيقة ، تبعد النوم عن الجفون ، وتبعث الشباب حارا ، ورديا فى الوجنات .

صعرا ظهريهما لمدينة نصر ، غير عابئين بالأحياء فيها .. وهل عاد ثمة أحياء .. الكل نائم . نعسان . استعانوا على الحر اللافح فى أول الليل باهرب إلى المضاجع .. وأنىّ هم الآن أن يدروا أن النسمات مع رقتها قهرت " الشرد والصهد " رغم حرقتهما . غزا النوم كل شئ .. وتسلل بسحره الذى لا يقاوم إلى عيني حارس عمارة الحبيب .. صحيح هو واقف ويحمل سلاحه على كتفه ، ومهمته حراسة الجنود داخل العمارة ، لكن كل شئ فيه يشى بالنوم . أجفانه تهدلت . وقفته تراخت ، استند بجذعه على حافة الباب . والبندقية هي الأخرى نامت على كتفه فمالت قليلا إلى جانب ..

---

* نشرت فى ملحق مجلة آخر ساعة فى ١٤ / ٤ / ١٩٦٥ ، ولقد عدل الرقيب عبارة عاد من حرب اليمن وجعلها عاد من العمل فى الصحراء .

وبدا السنكي مشرعا يهزأ بالليل ..
وفى رتابة ترددت أنفاس صدر رجراج ، صاحبته هي مراقبة البنات ، فى العمارة التى تقيم فيها ممرضات المستشفى العسكري . وتلك لا تبعد عن عمارة الجنود سوي بضعة عمارات .. وكانت من العمق فى النوم بحيث لو أقيم عُرس فوق رأسها ما غيرت أنفاسها رتابتها وانتظامها .
ولكن عين الحب ساهرة ، لا يقوى سلطان النوم على منازلتها ، والحبيبان فى حالة لا توقت بزمان ، ولا تحدد بمكان ..
لم تحدثني عن بلدتكم . تعثر تساؤلها فى استحياء ، وكاد يضيع فى جوف الليل ، فى أعماقها داء ينهشها بأنها ليست أهلاً لأحد . أليست ممرضة ! وتلك الفئة يقال الكثير عن فساد أخلاقها . هل يثق بها حقيقة . هل يحبها كما يزعم ها .. أم أنها مجرد تسالٍ.. لقاءات عابرة يأخذ منها ما يستطيع .
انتزعه التساؤل من جلال الليل .
- نعم
نظر إليها فى بسمة حالمة ، وكانت عيناه كمن يقرأ شيئا فى أعماق الصحراء .
- أتعرفين النيل الذى يمر تحت كوبرى قصر النيل .
- هه
- نفس النيل الذى تقع عليه بلدتنا المحمودية .
قبل أن تعلق أومأ برأسه وقال :
- نعم . ترعة المحمودية التى تصل إلى الإسكندرية ..
قال عبارته كمن تيقظ ليؤدي واجباً محدداً ثم نام بعده.
تاه ثانية فى السكون وإن بحثت يده اليمنى عن أناملها ،

تتحسسها فى رفق ..

استطال جسدها الصغير المنكمش ، وحركت ذراعيها كأنما ستنبت فيها عشرات الأذرع ، تلف بصاحبها تعتصره لتخرج منه الحقيقة . ورفرت دون صوت ، عيناها تنظران إليه ، مستجمعة قوي الأنثى فيهما ، وبسمة خبيثة نطق بعدها اللسان بالجملة المحرمة :

- ابراهيم .. أمس جاء لى واحد مهندس وبابا وافق .

نظر إليها فى غيظ .

- وأنت .. ماذا قلت .. ؟

لم تجب ، ونظرت إلى الأرض.

تطلع إبراهيم فرج إلى السماء لعله يستشف السر . وأخذ يناجي نفسه فى حزن : لماذا أنا .. لماذا أنا بالذات غير موفق مع البنات . أول واحدة وأنا عندي ١٦ سنة . يومها قالوا القيامه ستقوم عصرا . اشتريت سيجارتين ، وركبت دراجة من الدكان . فأنا ميكانيكي " موتوسيكلات " ، اصطدمت بفتاة فى عمرى . كانت تحمل شفشقا به عصير قصب . انكسر الشفشق وولولت البنت . طيبت خاطرها واشتريت غيره ، ملأته حتى حافته بالعصير . صارت معرفة .. عرفت بيتها وعرفت دكاني . القصد مشيت معها واشتريت لها أشياء كثيرة . شبكتها . وعندما طُلبت فى الجيش رموا لى الشبكة، ورحت أسأل ما الخبر . قال الناس : لها قريب عاد من حرب اليمن ومعه فلوس كثيرة .

قلت لازم أسيب البلد . رحت كفر الدوار ، زوج أختى يعمل هناك . يسكن فى شقة مشتركة . فى الضحي قمت أشطف . شفت أنيسة بنت زميل فى السكن . أبوها يعمل فى محل " اكسسوار "

دراجات و " موتوسيكلات " . ٢١ ألف عامل في المصنع بـ ٢١ ألف دراجة . الغرض اشتغلت معه في الدكان . الخير جرى . كنت أوفر سبعة جنيهات ، ليس من حق أحد أن يأخذ منها مليما ..

نظر إلى جارته .. وحق من جمعنا .. أنا أحببت أنيسة . كانت حلوة وكنت لما أتأخر تسأل عليَ . صحيح كنت أمسك نفسي على الآخر .. إنما بوستها . ولم يكن ما بيننا خافيا على أحد ، أمها عرفت وأبوها عرف .. وأختي لاحظت ، قلت لها قصدي شريف .. أتزوجها . قالوا مخطوبة وخطيبها اسمه غزال . غزال وصله الخبر . البنت لم تكن تحبه فهي لم تره كثيرا . خطبوها له . قرر غزال يوما أن يأخذها معه إلى بيته في مكان اسمه سيدي شحاته . والبنت عارضت. أخذها غصبا وهناك أخذ منها الشبكة .

جاءتني أنيسة باكية . كنت في هذه الأثناء أسكن وحدي فلم أتحمل . صنت البنت . أرسلتها إلى أبيها . وما أني السبب فيما حدث فقد ذهبت وتكلمت عليها . وافقوا ومشيت معها ، أحببتها جدا ، وبدأت أستعد للزواج . اشترط أبوها ، قلت على عيني . قال أجهز البنت كما تريد لكن لا تأخذ مكنة الخياطة معها . كما تعلمت هي لابد أن يتعلم إخوتها ..

وأنيسة تحب المكنة ، ولا تريد أن تفارقها ، ركبت رأسها في منتصف ليلة ممطرة وفكت رأس المكنة وجاءتني مبللة بالماء . قلت لها أنا أحبك يا أنيسة وأنت تحبيني ، ولكن أهلك . عودي إلى أهلك أحسن .

تنهد وتأمل هنية المتشحة بالسواد . عاملة حشمة .. على الجمال الصارخ .. ! والأعجب من هذا .. علام جاءها المهندس ؟ لجمالها أو لماذا .. ؟!

كنت راضيا .. وأصحابى كلموني : لماذا هذه .. قلت لهم : لا شأن لكم .. عاجباني . وأين أنت من جمال عطيات ، أنا الذى أستحق هذا .. أنا الذى تركتها .

كنت وقتها فى مركز تدريب الجنود . فرقة أتعلم فيها كيفية تعليم الجنود المشى العسكري والضبط والربط . أصبح بعدها عريفا وتعرفت هناك بجندي مؤهلات أخذني إلى حيهم .. وهناك تعرفت إليها .. جميلة .. هادئة .. لا مطالب لها . وذهبت إلى أمها التى كانت قريبة للجندي صديقي . قالت أمها : أمرك . أخذت على البيت وأحبتني الأم كأني ابنها . ولكني تراجعت .. لم أكن كفئا لهم . أغنياء عندهم عمارات . ملابسهم أشكال وألوان . وطعامهم لاسابق معرفة لى بأصنافه . هل أضمن لعطيات أن تعيش معى هكذا .. ؟! صارحت أمها بالحقيقة .. قالت : لا شأن لك ، سأدبر كل شئ . ولكنى رفضت .. رفضت أن يدبروا لى أمرى .. وهل أستطيع أن أرفع رأسى يوما ..

ورفع رأسه إلى هنية التى كانت ساهمة حزينة . إنها ليست أهلا له فعلا .. وتضخم الداء .. وبدأت تعيد تقويم جمالها ، وتضاءلت أكثر فأكثر .. وفكرت فى مركز أبيها العجوز الذي يسكن بها وأخوانها فى شقة متداعية ، دور أرضى ، بالوايلى الكبير .

وماذا يعني .. أبى باشكاتب صحة ، بالمعاش ، وماذا هو ؟ "حتة عجلاتي" . وتصعبت على أيام جابا فيها شوارع مدينة نصر المستفيمة الخاوية ، تظللها البنايات العالية التى لم يسكنها أحد بعد . وتحت القمرية .. متمتعين بجو المدينة اللطيف المنعش .. يتناجيان .. ويسرحان . وسمعت منه ألفاظا جميلة ، تصف محاسنها وأدبها . ولماذا اختارها دون سائر الممرضات . مع أنه يراهن صباح

مساء ملطوعس فى السرفة .. وأثناء خروجهن وفى العربة الحب
إلى المستشفى . ولم تكن تخفى عليها وسامته . شاربه الرفيع
الأصفر الخفيف . وجهه المستدير البرونزى . لفحته أشعة الشمس
من سيره بـ الموتوسيكل " فى الجو المشمس
شعره قصير يميل إلى الشقرة . عيناه صغيرتان ، دقيقتان ،
قامته متوسطة . يزيدها ارتفاعا انتصابه المستمد من مشيته
العسكرية النشطة .
وهي بجواره صغيرة القد . سوداء العينين . متواضعة الساقين .
تخفى رداءة شعرها ، الذى زهقت من تسريحه تحت إيشارب أسود .
الليل يتقدم .. والصبح يوشك أن يبدد الخلوة ، وهي بجانبه .
وقد تحول كيانها إلى إحساس مرهف .
تعري كل منهما بخواطره ، وكان لابد من المواجهة . حتى ولو
كانت صامتة . تطلعت اليه وبقايا خواطرها تبعث حزنا إلى نفسها
طبعا لا يحبني .. أجلس بجواره ولا يشعر بي ..
ونطقت تتشبث برجاء :
- رد . لماذا السكوت .. ؟
شملها بنظره فى حيرة : أنت التى كنت أحدث نفسى عنها .. هي
ليست كأخريات .
قال فى ضجر :
- وهل عاد هناك رد ..
ثم استطرد فى أسى :
ألن تتزوجي المهندس .
عمت كيانها الضئيل فرحة مفاجئة :
أنت صدقت ؟!

الأمر الواقع

خبط رقيب أول السرية قدمه اليمنى فى الأرض ، ورفع يده بالتحية ، وأردف :

– تمام يا أفندم .

اتجهت عينا قائد الكتيبة إلى الجندي الذى ساقه الرقيب أمامه . سحنة قمحية داكنة ، عينان سوداوان ، أقرن الحاجبين ، شعر شاربه يلتف على شفته العليا .

رد التحية فى ضيق ، وتمتم :

– استرح .

كان الإسرائيليون قد دفعوا بزورق مطاطي بمحرك ، به ضابط وصف ضابط ، يذرع قناة السويس ، فى حراسة دورية مدرعة ، تتحرك بمحاذاته على شاطئ سيناء .

أطلق الجندي النار ، فانقلب القارب ، وتم أسر الإسرائيليين .

لو تغاضى عن ذلك ، فكأنه يعطي إشارة لباقى الجنود أن يحذوا حذوه ، وإذا كانت هذه العملية قد نجحت ، فمن يدرينا أن عملية أخرى ، لن تغرى العدو ، ويوسع نطاق الاشتباك ، وقواتنا ليست مستعدة للرد ، فلم يكد يمضى على حرب يونيو ٦٧ سوي شهر

واحد .

هل أدرك الجندي بفطرته ، أنهم بتسيير هذا القارب ، يريدون فرض الأمر الواقع . وكيف يعاقبه لأنه أطلق النار على العدو .. ؟!

تطلع القائد إلى الرقيب أول ، وتساءل .. أكان لابد أن تحبكها وتقود الجندي إلى مكتبى . ثم تغاضى ببصره .. وماذا كان يفعل مع جندي خالف الأمر العسكرى بعدم الاشتباك فى هذه المرحلة .. ؟!

وسرح بفكره إلى مسرح العمليات ، الذى كان فيه من عدة شهور قبل بدء الحرب . كانوا يصعدون جبالاً شديدة الوعورة ، عندما أصاب قناص زميله بطلقة قاتلة . جزع الجنود وحاولوا إنقاذ الضابط، بينما هو يبحث عن مصدر إطلاق النار . فى هذه الأثناء وصل أحد المتسللين إلى مكان الضابط ، وفصل رأسه عن جسده ، غير عابئ بوابل من النيران صبوها عليه .

احتمي المتسلل بصخور الجبل . وبالتأكيد فى طريقه بالرأس مفاخراً إلى إمام اليمن ، وسوف تحصل قبيلته على منحة مالية .

وطاف بذهن القائد ما قرأه عن جنود مصر القديمة . كانوا يقطعون أيدي أعدائهم ، ويذهبون بها إلى قادتهم ، مباهين أنهم قتلوا كذا جندي من الأعداء .

اشتعلت فى رأسه حمية ، وتناسى الأمر العسكري ، بعدم تتبع القناصة فى مسالك الجبال ، حرصا على أرواح الرجال ، وحتى لايشغلهم ذلك عن عملهم فى تأمين الممر الجبلى ، الذى تسلكه

قواتنا فى عملياتها . وصمم على استعادة رأس الزميل ، مهما كلفه الأمر .

خمن بسرعة الاتجاه الذى سيهرب منه المتسلل ، وأمر رجاله بقطع الطريق عليه .

كان البرد قارسا ، والثلج يغطي الجبل ، ، واحتمال تعرض رجاله للسقوط ، كبير .

كاد يستسلم للأمر الواقع . الضابط مات ، وانتهي الأمر . وماضر أن تدفن رأسه مع جسده ، أم تدفن فى مكان آخر . من يدرى .. ربما مثلوا بها قبل دفنها أو علقوها على شجرة مزهوين.

قطعوا الطريق على المتسلل ، واستعادوا الرأس .

وقتها كان هو الآمر وحده ، بين رجاله المنعزلين على قمة الجبل، تحف بهم السحب . لم يدر أحد بمخالفته الأمر العسكرى . أما الآن .. ونظر إلى الجندي الذى وقف مستكيناً فى انتظار ما يأمر به . تخطاه بنظره إلى الرقيب أول ، فخال عينيه منطفئتين . أتراه أحس بما ينتظر الجندى ، فلام نفسه لتقديمه إلى المكتب ، أم تراه يلوم نفسه لأنه لم يستطع تجنب ماهما فيه الآن .

صاح القائد :

- انتباه .

شدا قامتيهما ، وضما أقدامهما ، وتطلعا إليه .

سأل القائد الجندي :

- ما قولك فيما هو منسوب إليك .. ؟

رد الجندي :

- ما تراه سيادتك .

لم تلن ملامح القائد .. فلاح خبيث .

قال القائد :

- تعرف نتيجة مخالفة الأمر العسكرى .

- أمر سيادتك .

قال القائد :

- نظراً للظروف التى نمر بها على الجبهة ، فقد رأينا مجازاتك بالسجن خمسة عشر يوماً فقط . انصراف .

أدي الرقيب أول التحية وصاح وهو ينظر للجندي :

- للخلف در .. للأمام سر .

فور انصرافه ، طلب القائد من جندي التحويلة ، أن يصله برقيب سجن الوحدة ، وعندما جاء على الخط ، قال :

- غداً ستقوم الكتيبة بمشروع . على الموجودين فى السجن أن يلتحقوا بسراياهم حتى لا يتخلفوا عن التدريب .

شريطان

تحرك القارب من الغردقة إلى جزيرة شدوان فى طريقه إلى شرم الشيخ ، وعلى متنه تسعة أفراد .

عند شدوان ارتفع الموج ، وكان البحر قبلها عاليا .. مما هدد بإلغاء العملية .

قرر قائد المجموعة تخفيف الحمولة ، فأمر أربعة أفراد بالبقاء فى شدوان ومعهم بعض المعدات . أخرج خليل الزهاوى ورقة كان قد كتبها لفتاته ، وأعطاها لزميل من الباقين ، ورجاه أن يوصلها من أجل خاطره ، إذا حدث له شئ .

عانقه الزميل ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال :

- إن شاء الله .. ستذهب لها بنفسك .

بان التأثر على وجوه باقى المجموعة ..

كان خليل فى كل إجازة ، يعلق شريطين على بدلة الفسحة ، يتباهي بهما وهو يدخل حارته المتفرعة من شارع العباسى فى المحلة الكبرى ، حيث تقطن فتاته ، والزميل الذى أعطاه الورقة جارها وينافسه فى حبها . وذات مرة أسر لها بزيف الشريطين ،

وان من نفتضه عليها من أعمال قام بها ضد الإسرائيليين تخفا في محع.

لم يكد القارب يتحرك . حتى حدث عطل .. صعب على القائد أن يعطى أمرا بالعوده إلى شدوان ، حتى لا تفلت ناقلة الجنود بيت شمع . فقد قامت منذ مدة بإنزال مجموعة من الجنود الإسرائيليين على ساحل البحر الأحمر ، أوقفت باصا دمرته ، وقتلت جميع ركابه .

أخرجته من أفكاره ، صيحة خليل الزهاوى :

- التنك

وجد الغطاء ممكوكا ، وتسببت حركة القارب وهو يغالب الموج في دلق البنزين منه . غيروه بآخر ممتلئ بالبنزين .

أمر القائد بالإسراع .. وهو لا يدرى هل سيلحق بالناقلة قبل أن تغادر إلى بلاعيم ثم العودة إلى إيلات ، حيث تقدم الدعم والتموين للقوات الإسرائيلية في هذه المنطقة المحتلة من عام ٦٧ .

بانت علامات القلق على وجوههم ، فالموج العالى يحد من سرعة القارب . وقد تصل الضفادع البشرية إلى الميناء لنسف الناقلة ، قبل أن يتمكنوا من جذب الأنظار بعيدا عنها ، بمهاجمة إحدى نقاط الحراسة في مدخل المدينة .

بعد تخطى رأس محمد ظهر قارب اسرائيلي ..

هل يتعرضون لكمين .. ناور القائد . فدخل إلى عمق البحر ثم

دار وتقدم محاذرا ، ولما لم تظهر قوارب أخرى ، تردد فى الهجوم ، خشية التأخر ، ومن جهة أخرى لو تجاهله فلن يسلم من مطاردته . كان خليل يحمل كارل جوستاف مضاداً للدبابات ، وكان القائد يعلم أن طلقته لا تخيب .

اقترب القارب الإسرائيلي ونادي عليهم بتسليم حبل قاربهم .

صاح القائد :

خليل .

أطلق قذيفة أصابت وسط القارب . ومع ذلك استمر فى الاقتراب. أطلق القائد قنبلة فوسفورية . وجه الإسرائيليون نيرانهم نحوها . وانتهزت المجموعة الإضاءة التى أحدثتها القنبلة ووجهوا أسلحتهم نحوهم .

أخذ القارب فى الغرق ، ومن بقى حيا قفز إلى الماء ..

نزلوا إلى الشاطئ .. جاء نداء باللاسلكي أن العملية تأجلت . لم تتمكن الضفادع البشرية من الوصول إلى مكان الناقلة ، بسبب التيارات المائية المعاكسة . كانوا قد ركبوا تلاً رملياً ، وأصبحت النقطة فى متناولهم ، أغلق القائد اللاسلكي . وانهالت القنابل ورصاص الرشاشات على نقطة الحراسة ، لإخراجهم من خلف الدشم دون جدوى . أطلقت عليهم المجموعة عبوات حارقة ، وتقدم القائد وبرفقته خليل .. بينما باقى المجموعة تستر تقدمهما . عثر خليل فى لغم مضاد للأفراد . ابتلت ملابسه بالنابالم الفسفورى ،

وأصبح مشعا فى قلب الليل . الأمر الذي أتاح لزملائه الفرصة لإصابة الإسرائيليين . ولم يكد الزملاء يشكرون الظروف لعدم اشتعال اللغم فى خليل ، وقد عزوا ذلك لخطأ فى دورة الإشعال ، حتى انهال الرصاص من القوة الإسرائيلية التى أسرعت للنجدة ، على خليل .

تمكنت المجموعة من وقف تقدم القوة الإسرائيلية ، ودمرت نقطة الحراسة . وشرعت فى الانسحاب .

وفى القارب . لم يستشعروا طعم النشوة لما فعلوا .. فقد تسربت ظلال الحزن إلى ثنايا نفوسهم .. وعمهم الصمت . وأصبح مسموعا بوضوح هدير المحرك وتلاطم الموج ..

نشعت عينا القائد بالدمع .. وقد تراءى له خليل ، وهو يلح قبل العملية أن تكون إجازته فى الدفعة الأولى : وقفة وأول يوم العيد الكبير . وكان ينوى إجابة طلبه ، حتى لا يحرمه مما يكسبه ، من عمله من بعد صلاة العيد حتى المساء فى ذبح الأضاحي ، حيث لا يعمل إلا فى المواسم والمناسبات . وعزي نفسه والمجموعة بالقول أنه سيكتب مذكرة فور عودته بترقيته إلى رتبة عريف .

نجمة سيناء

نزل من الباص على الطريق الزراعي ، المؤدي إلى قرية بالقرب من المنصورة ..

استعاد كلمات رئيس تحرير الجريدة التى يعمل بها ، عن عمل كتاب تذكاري عن الحاصلين على وسام نجمة سيناء لبلائهم فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .

قال : أفضل طريقة لتقديم صورة جيدة عنهم ، هي لقاء زملائهم والسماع منهم . وكلفه بالتحري عن ثلاثة ، وأوكل إلى زملاء له بالكتابة عن آخرين .

كان الوقت قرب الظهر ، وتصادف خروج الأولاد والبنات من مدرستهم الابتدائية ، فى مدخل القرية .

عبثاً حاول سؤال أحدهم عن بيت محمد عيسى ، وعندما أوشك على مغادرتهم يائساً ، قفز قبالته ولد فى نزق وقال :

– محمد أبو صاروخ .

سهم برهة . جرى الولد ونظر خلفه ، فأدرك أن عليه أن يتبعه ، سار فى شوارع القرية الطويلة المتعرجة ، حتى حافة الحقول . أشار الولد إلى رجل يجلس بالقرب من ترعة ، وانطلق عائداً .

وبعد إلقاء السلام ..

– الأخ محمد عيسى ..

هش الرجل بطرف جلبابه إلى جواره ، وقال :

- تفصل .

غلبه الشوق ، فسأله عن تسمية أبى صاروخ ، تاركاً ما أعده من أسئلة عن كيفية تدمير قائده المقدم أركان حرب عبد العزيز غزى احتياطي الدبابات لإحدي النقاط الحصينة ، وتصديه لاحتياطي العدو التعبوى .

ضحك محمد عيسى ضحكة مجلجلة ، وانطرح بجذعه الربعة إلى الخلف . وحين استوي ، استرعى انتباه المحرر شعر هائش فى مقدمة رأسه .

قال :

- أبدا .. فى حرب الاستنزاف كنا نتسلل خلف خطوط الإسرائيليين نأسر بعضهم ، ندمر إحدي منشآتهم ، نستطلع المواقع . وذات مرة وجدت أمامي صاروخاً فى موقع انسحب منه الإسرائيليون . لم أستطع المقاومة فحملته ، ولم نكن مكلفين بذلك . سخر مني زملائى من أفراد الصاعقة ، وأطلقوا عليَّ هذا الاسم .

سلمت وحدتنا الصاروخ إلى سلاح المهندسين . قاموا بتفكيكه ، وعرفوا قوته التدميرية ، عدلوا فى صواريخنا لتكون قوتها التدميرية ضعفه .

وعندما سأله المحرر عن سيادة المقدم ، نهض - كأنه لم يسمعه- إلى حفرة قريبة . أعاد بالنفخ التوهج إلى جمرات ، كادت أن تخبو ، تحت براد شاي .

- ياه .. كانت أياماً .. ذكرتني بـ " أبو العروسة " ....

أطلقناه على سيادة المقدم فيما بيننا . عندما دخلنا أحد الحصون لتطهيره ، عثر المقدم فى دمية إسرائيلية ، ركلها فى غيظ. طارت وانتصبت واقفة ، أمسكها وقد ازداد غيظه وضربها فى

الحائط وألقاها أرضا . انتصبت واقفة ثانية .. وأفلتت ضحكاتنا المكتومة نظر إلينا فى غضب . يا أفندم هذه دمية ناحوم تاتوم .

وشرح له أحدنا أن ما رآه منها هو خاصية ها . وكنا قد عثرنا على واحدة فى إحدي الغارات . لانت ملامح المقدم ، وألقاها أرضاً . وقبل أن تنتصب داسها بتؤدة .

ابتسم المحرر . وهز رأسه يحثه على الكلام ، بينما يتناول منه كوبا من الشاي .

– احتياطي العدو المحلى من الدبابات على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات من الحصون . وتستطيع الدخول فى المعركة بعد بدئها بعشرين دقيقة . وها مطالع على طول الساتر الترابى محمية من الجانبين . تصعد الدبابة آمنة إلى مصطبة . وتشرف على مياه القناة، وتطلق النار من مدفعها الرشاش . وقذائفها من مدفع البرج على المهاجمين . وكان واجبنا منع هذه الدبابات من الوصول إلى مصاطبها . لمدة أربع ساعات ، تتاح خلاها الفرصة للمشاة ، ليلتفوا حول الحصن تمهيدا لاقتحامه . ويكون المهندسون قد شقوا ممرا فى الساتر الترابى المحاذى للقناة ، ونصبوا أمامه معبرا على الماء ، تتقدم فوقه الدبابات لحماية المشاة.

انتظرنا حتى انتهت القصفة الثانية من مدافعنا فى الغرب على مزاغل الحصون لتأمين تسللنا ، ولمنع احتياطى العدو التعبوى ، فى العمق من التقدم ، ومنع مدافعه من العمل . وإجبار الإسرائيليين على التزام المخابئ .

وزعنا سيادة المقدم على مواقع مختلفة ، وما أن لمحنا دبابات الاحتياطي المحلى فى الطريق ، حتى انهالت عليها صواريخ المالوتكا ، واقترب بعضنا منها وأطلق عليها قذائف الـ ر ب ج .

وكان المشاة فى هذه الأثناء قد التفوا حول الحصن ، وبعضهم اقتحمه . نظر المقدم فى ساعته . أنجزنا مهمتنا وانتهت المهلة المحددة لنا ، فأشار لنا لنتجمع .

لحظ أحد الجنود تقدم طابور مدرع من الاحتياطي التعبوى ، وقدره بلواء من مئة دبابة ، أبلغ سيادة المقدم الذى وقف حائرا .. هل يأمرنا بالانسحاب حسب التعليمات ، أم يحاول التعطيل .

نادي لاسلكيا على مركز القيادة فلم يجبه أحد . أسرع أحدنا بالقول :

- نبث الألغام فى طريقه .

فكر سيادة المقدم لحظات ، وأومأ برأسه موافقاً .

وعندما انتهينا ، ولم يكن الاتصال اللاسلكي قد نجح ، أسرعت أتسلق الساتر للاستطلاع .

أبلغت عن طابور مدرع مصرى ، يسير بحذاء الساتر الترابى ، أغلب الظن فى الطريق إلى منفذ آخر . أطرقنا جميعا فى قلق .. هذا يعني أنهم فشلوا فى عمل منفذ فى موقعنا .. وحتى يصل الطابور إلينا سيكون مشاتنا فى الحصن وحوله معرضين للخطر .

قد تصيب ألغامنا بعض دبابات الإسرائيليين ، ثم ما تلبث الأخرى أن تغير خط سيرها وتشرع فى الهجوم .

فى تلك الأثناء قامت المدفعية المصرية بالقصفة الثالثة وكانت فى العمق . استغرقت حوالى عشر دقائق ، وبعدها عم الجبهة صمت مريب ..

لاشئ الآن يردع الطابور الإسرائيلي عن التقدم ..

ودون تبادل أية كلمات ، وجدتني مع باقى الأفراد ، ننصب عدة كمائن على جانبى الطريق الذى سيمر منه .

استطعنا تدمير ما يقرب من عشرين دبابة ، وعدة عربات مدرعة ، ولم نغادر إلا بعد أن رأينا مابقى من الطابور يستدير عائداً .

أسرعنا لنرى ما حل بمكان المنفذ . كان الساتر فى هذا الجزء من مواد صلبة ، اضطروا لاستخدام متفجرات فى محاولة لتفتيتها ، ومن طفلة ، حولها الماء المندفع من الخراطيم إلى طين لزج فصعب المرور فوقه .

التففنا حول سيادة المقدم ، الذى تطلع إلينا بعينين مبتسمتين، رغم إحمرارهما من الإرهاق ، وشرع ينادي على القيادة ، وكان الاتصال قد عاد ، يبلغها بما حدث .

* * *

فى مطعم للفول والطعمية ، بميدان محطة القطار بالزقازيق ، وجده . نحيف العود . يلبى طلبات الزبائن فى صمت .. وتشع ابتسامة ، تضفى إشراقاً على وجهه الأسمر . عرفه بنفسه وبمهمته . استمهله حتى تنتهي ورديته فى الثالثة بعد الظهر .

كان الوقت حوالي الواحدة ، أخذ يتسكع فى الشوارع وقد غلبه فتور لا يدرى مبعثه . كان قد التقى قبله موظفاً بمصلحة الضرائب بينها ، تبادلا الحديث لبعض الوقت ..

وسأله عن قائد سريته فى الجيش الثالث ، النقيب عادل شلبى وكيف عثر على كيس بلاستيكي مهرب من الاستخبارات المصرية ، وسلمه لقيادته .

رد أنه سمع عن هذه الواقعة ، ولكنه لا يستطيع أن يحدثه جيداً عنها ، وأن الأفضل أن يسمع من أحد العاملين فى المطبخ ، وأعطاه اسم مدرس فى ثانوية منوف . وأخبره المدرس أنه عرف فور

عودته من مهمة لجلب الماء من أحد الآبار التى نجحوا فى حفرها ، أن زميلاً عثر على كيس به خرائط عن أوضاع القوات المتداخلة غرب القناة . وكذا مفتاح الشفرة للشهر الجديد ، وكان أكتوبر يقترب من نهايته ، وسيتعذر الاتصال بالقيادة .

ودله على عنوانه .

عندما أنهي تسكعه أخذه العامل إلى حجرة خلف المطعم ، يجهزون فيها مواد الطعام، . وفور أن جلسا ، ابتسم العامل وقال:

– الكيس

هز المحرر رأسه ، وهو لا يدرى لماذا أحس بسُخفه .

– كان يوم عيد فى الجيش الثالث ، عندما تمكنت قوات الأمم المتحدة من تمرير قافلة إمدادات . جاءنا الأمر بعمل وجبة ساخنة ، نعوض بها عدة أيام من التعيين الجاف . فتحت علبة سمن ، وحركت فيها الكبشة فلم تتحرك . مددت أصابعي فوجدت كيسا من البلاستيك . استعدت منظر العلبة قبل فتحها . كانت مغلقة كأية علبة أخري . قررت أن أسرع بالكيس إلى النقيب عادل . وما كدت أخطو خارج المطبخ حتى دوت أصوات القذائف . عاود الإسرائيليون خرق وقف إطلاق النار . وعلق الزملاء من بين ضحكاتهم : الإسرائيليون صعب عليهم مرور التموين أمامهم . لن يجعلونا نهنأ به .

انتظرت حتى يخف الضرب ..

وازدادت ضحكاتنا ، وقد خمنا من شدة الضرب واستمراره ، مدي غيظهم .

نصحني الزملاء بالانتظار . لكنى قلبت الكيس بين يديَّ . هذا شئ غير عادي . خرجت من المطبخ ، وكانت النتيجة ..

مال بجذعه قليلا إلى الأمام ، وهو يشير خلفه .

لحظ المحرر ، أنه لا يجلس على راحته ، وأنه يميل إلى اليسار قليلا .

- شظية فى الإلية .

ضحك المحرر وسأله :

- والكيس .. ؟!

زحفت حتى نجحت فى الوصول إلى ملجأ النقيب عادل . وعندما عدت ، وعرف الزملاء مكان إصابتي ، أخذوا ينكتون عليَّ ، ومن ساعتها وحتى نهاية خدمتي ، لم أسلم منهم .

* * *

وضع المحرر الأوراق أمامه ..

حار .. هل يكتفي بمن استمع إليهم .. فى المرة الأخيرة ، داخ على طرق ضيقة ، لا تستطيع سوي الدواب السير عليها ، حتى وصل إلى قرية على مشارف البراري فى محافظة كفر الشيخ . حيث يعمل من ذهب إليه فى استصلاح الأراضي . وكاد أن يطق عندما أخبره أنه لا يستطيع أن يفيده فيما جاء من أجله ، وأعطاه اسم مساعد وعنوانه . ساعتها دونه من باب المجاملة وأخذ يستمع بفتور .. كان أول من تسلق الساتر الترابى من فصيلته .. دق عمودا ليثبت طرف سلم من الحبال فى القمة ، وأسقط الباقى على انحدار الساتر . ما إن أشار للجنود ليصعدوا حتى جاءت قذيفة، فطار العمود .. وكاد السلم أن يسقط لولا أن أمسكه بإحدي يديه .. نظر خلفه ..كان زملاؤه يصعدون. تشبث بالسلم ، وأشار برأسه ليسرعوا .. ربما صوت أزيز الدانات وطلقات الرصاص .. صرفا انتباهه عما يحدثه ثقل الطالعين على السلم بجسده . بعد

طلوع آخر جندي . لم يستطع أن يرتكز بيديه لينهض . وظل مدة لا يدرى مداها . حمله أحد الجنود إلى الخلف . رقد عدة أيام فى مستشفى ميداني حتى برئ من ملخ فى عضلاته .

هل يبيض.

عاود التطلع إلى ما سطره .. وإلى أسماء فى مفكرته ..

ظل يستعرضها .. ونفسه تميل شيئا فشيئاً إلى الاكتفاء .

لكن فضوله ألح عليه أن يلقى المساعد .

* * *

فى حارة بالقرب من مقام السيد البدوي بطنطا ، لم يجد صعوبة فى العثور عليه ..

نجمة كبيرة ، غالباً من الأبلكاش ، مدهونة باللون الأحمر ، على حوافها وفى وسطها مصابيح صغيرة ، تومض وتنطفئ ، مخلفة شعاعات من ألوان مختلفة ، وشيئا من المرح .

وفوقها على حائط بيت قديم ، مكتوب : كهربائى نجمة سيناء .

وعلى دكة حائلة اللون ، وُضع مكبر للصوت ، وجهاز تشغيله ، وربطة ملفوفة من السلك .

اقترب من حافة الدكة حيث يجلس ، وألقى السلام بصوت عال .

وفور تلقيه الرد ، سأل :

- عم سيد بندق .

- أأمر ..

ما أن عرف مايوده ، حتى نهض . بانت قامته طويلة سخية داخل جلبابه . خفض صوت مسجل يلعلع بأغنية يا حسن ياخولى الجنينة ، وغير وجهة المكبر . أحضر زجاجة مياه غازية من بقال قريب .

- خدمت مع المقدم نادر جمعة .

قال باعتزاز :

- آي نعم ..

رشف المحرر من الزجاجة .. عنده حق .. اقتحم المقدم حصناً استعصى عليهم زمناً .

وضع الزجاجة إلى جانبه وأنصت .

- فى بداية الهجوم واجهنا حصون خط بارليف . وعندما ترى صخورها ، والشباك الحديدية تحيط بها ، تيئس من الاستيلاء عليها . فكانت الخطة أن نعميها .

ارتفع حاجبا المحرر فى تساؤل ..

- نعم .. كنا نعميها .. نسد فتحة المزغل التى يرون ويطلقون النار منها ، ويتسلل بعض الجنود خلفها لعزلها عن أية نجدة تأتيها من الخلف . لكن الحصن الذى كنا مكلفين بالسيطرة عليه عافر معنا .. فقرر سيادة المقدم أن نفاجئهم وجها لوجه. اقتربنا من بوابات الدشم الفولاذية وأطلقنا القنابل اليدوية .. وألصقنا بها المتفجرات .. ولا فائدة . أمر بإلقاء قنابل الترميت ذات التأثير الحراري الكبير من فتحات التهوية . أخبرته أننا فقدناها ونحن نصعد السد الترابي . أخذ يسب ويلعن .

فزعقت ، ولست أدري كيف في وجه سيادة المقدم : الدخان ..

كان بعض الأفراد يحملون مولدات دخان ، لنغطي تقدمنا .. ألم أقل لك .. كنا نعميهم .

ربما واتتنى الفكرة من حرب ٤٨ .. كنا فى منطقة دير البلح ، ولابد من استعادة تبة استولى عليها اليهود ، تهدد خطوط مواصلاتنا . اطلاق القنابل والرصاص ، لم يأت بنتيجة . كان

الجيش المصرى قد اشترى بعض قاذفات اللهب المتخلفة من الحرب العالمية الثانية ، ونجح بعض الفنيين فى تشغيلها . وكان بعضها معنا .. لم أكن وقتها مساعدا . كنت عريفا وأقود فصيلة . أطلقت قنبلة دخان ، وصعدت إلى التبة ، وفاجأتهم بدفعات متتالية من قاذفات اللهب ، واستعدنا التبة .

لن أطيل عليك .

ألقينا مولدات الدخان من فتحات التهوية . وتعاملنا مع المزاغل بقذائف الـ رب ج . أسرعت إلى بوابة إحدي الدشم . حيث وقف سيادة المقدم ، فهم لابد خارجون منها . بعد أن أصبح الجو عندهم خانقا .

ولم يطل انتظارنا ..

وأدار كفيه أمام عيني المحرر ، فلمح آثار حروق غيرت لون الجلد .

- طالتني النيران ، وأنا أقبض علي بعضهم .

حضر زبون عنده فرح . فاستمهله وهو يرد على سؤال المحرر ، عما تم بعد الحرب .

- أكملت ما بقى من فترة تطوعي الأخيرة ولم أجدد . أخذت المكافأة وزوجت بناتي الثلاثة .

سلموا أنفسكم للمصريين

ما أن لمح عاصم الحياني ، عـودة الطـائرات المصـرية مـن ضـربتها الجوية فى عمق سيناء ، حتى تصرف تلقائياً .

لم يصبر حتى يقوم سلاح المهندسين بفتح الثغرات وتدمير الألغام حول الحصـن وعلـى السـد الترابى المـؤدي إليـه ، والمحـاط بالأسـلاك الشائكة .

يقع الحصن فى شارع المعدية شمال معدية السيارات فوق القناة ، ومكـون مـن عـدة دشـم صخرية مـزودة بالمـدافع ، تقويهـا قضـبان السكة الحديدية ، المنتزعة من خط قطار القنطرة العريش ، وتحيط بها شـبكة مـن الحديـد الصـلب ، وهـذه الدشـم تتصـل فيمـا بينهـا بممرات تحت الأرض مبطنة بالصاج المضلع ، وجميعهـا متصـلة بمركـز قيادة وغرف معيشة ذات حوائط وسقوف خرسانية .

نزع عاصم سونكى بندقيته ، وجس حقل الألغام المـؤدي إلى دشمـة فى مقدمة الحصن .

وكلما تأكـد مـن خلـو المكـان مـن الألغـام ، وضـع قدمـه ، فاتحـا الطريـق لزملائـه .. ولكـن .. حـدث مـا جعلـه يصـعد السـد الترابـى سريعاً ..

كانت قنبلة تتدحرج فى اتجاهه ..

جندي مشاة يقوم بالحماية ، ألقى قنبلة دفاعية ، بدلا من أخرى هجومية ، ولذلك لم تنفجر بمجرد ملامستها لجسم السد ، حيث أنها موقوتة ، وتنفجر بعد فترة .

فوجئ عاصم بوجوده ، أمام الجنود الإسرائيليين ، فأطلق النار . وعززته المجموعة ، التى تتبعت آثار أقدامه ، فى إطلاق النار ..

أسرع الإسرائيليون إلى داخل الحصن ، وتبعهم الجنود ومن فتحات التهوية ، ألقوا قنابل يدوية . تعالت الصرخات .

انتزع عاصم العلم الإسرائيلي ، ومزقه قطعا صغيرة ، تخاطفها زملاؤه . وفك العلم المصرى الذى لفه حول وسطه . ومن الدماء التى سالت من غرز الأسلاك الشائكة فى جسده وهو يتسلق السد الترابى ، كتب على العلم بإصبعه : الله أكبر .

رفرف العلم فوق قمة الحصن .. والشظايا تنطلق من كافة الاتجاهات .. ويصم الآذان دوي المدافع ويتصاعد هدير الصواريخ .. ويتساقط الدمع والعرق .

جلس عاصم أرضاً يلتقط أنفاسه . خلع حذاءه ، ومدد قدميه ، غير مصدق أنه على الشاطئ الشرقى للقناة ، وأن العلم المصرى يرفرف . كان بالأمس موضوعاً أمامه ، ساعة صلاة الجمعة . وبعد الصلاة جاء مندوب من التوجيه المعنوي . أعلمهم بأمر قتال دون تحديد موعد . وكذا ضرورة تناول الفطور صباحاً . ولما كانوا فى شهر رمضان ، فقد أدركوا أن حدثاً كبيراً سيقع . وتأكدوا من ذلك عندما صدرت الأوامر بالتمويه فى الخطوط الأمامية . غسل بعض الجنود ملابسهم الداخلية ، ونشروها على شاطئ القناة ، وسبح بعضهم فى مياهها .

انتبه عاصم ، وإذا بعض الإسرائيليين يزرعون الألغام . لم يجد

أمامه سوي حذائه فقذفهم به. فى نفس اللحظة تعالت الهتافات : الله أكبر .. الله أكبر . أصيب الإسرائيليون بالذعر . فقفزوا إلى القناة، تلاحقهم اللعنات وطلقات الرصاص .

وخرج من بقى حياً من الحصن ، رافعاً ملاءة بيضاء ، وطلب أحدهم الأمان باللغة العربية .

نظر الجنود إلى قائدهم ، فأومأ برأسه .

أقعدوهم .. شعورهم مهوشة ، بعضهم نظراتهم منكسرة ، وبعضهم نظراتهم زائغة وقد تمزقت ملابسهم وبانت أجزاء من أجسادهم معفرة بالسواد .

أمر القائد بتقديم كوب شاى وسيجارة لكل منهم .

بعدها قيدوا أيديهم خلف ظهورهم بأربطة أحذيتهم ..

جلس عاصم مع بعض زملائه فى مكان مرتفع وقد شهروا بنادقهم باتجاههم . طافت بخاطر عاصم ذكرى زميلين ، قضيا جراء القصف على موقعهم فى الغرب إبان حرب الاستنزاف .

يومها مزقهم الشعور بالهوان ، وغرق مع باقى الجنود فى وجوم جارح . تشققت حلوقهم ، ونشف ريقهم . لم يأكل جندي فى الكتيبة لقمة ، أو شرب جرعة ماء . وكانت نظراتهم الحزينة مصوبة فى صمت نحو الشاطئ الشرقى للقناة .

* * *

توجه الشيخ شلاش المندوه إلى شارع عزبة ناصر ، وعرج إلى العزبة . جمع بعض الحوذية ، وطلب منهم الإسراع إلى شط القناة ، للمساعدة فى نقل صناديق الذخيرة إلى مواقع القتال . انطلقت عربات الكارو ، تجرها الحمير . وسار الشيخ قاصداً بيت الأستاذ خميس زيدان فى عزبة الصحة ، مخلفاً وراءه العشش المقامة من

الصفيح والسدة والطين ، وعبرت ابتسامة وجهه ..

عداة الاحتلال الإسرائيلي للمدينة فى عام ٦٧ ، كان كثير من الآباء يمنعون أولادهم من الخروج ويسكون عليهم الأبواب قبل أن ينصرفوا إلى شئونهم . وذات يوم علموا أن العربات الإسرائيلية قد أعطبت عجلاتها بفعل مسامير وقطع من الزجاج نثرت فى شارع العريش .

كان الأولاد قد حفروا الجدران الطينية ونفذوا من بيت لآخر ، ومعهم مسامير خاصة صنعها هم أحد الحدادين على شكل زوايتين معكوستين ، فيقف المسمار على ثلاث أسنان حال إلقائه على الأرض .

وفور الاضطراب الذى حدث ، أخفى ابنه رمضان الأولاد فى بيته على حافة الصحراء ، حتى هدأت الأمور .

طرق الباب .. جاءه صوت صبرية بنت الأستاذ من خلفه فى اقتضاب :

- جامع الفتح .

تلكأ قليلا .. وحين لم تفتح ، عض شفته السفلى فحزت أسنانه فى دكنتها . وتدلت .

ردد فى نفسه : الصبر . وأسرع إلى الجامع .

كانت الأنباء التى تواترت عن سقوط حصنين آخرين ، قد أشعلت الحمية فى النفوس ، وأملوا أن يسقط الحصن الأخير فى حريرة البلاح عما قريب . تدفقت النسوة يحملن صواني الكنافة، وأطباقا مرصوصة بالقطايف وقد رش فوقها السكر الناعم، ودوارق مملوءة بالتمر المنقوع فى اللبن . فى مقدمتهن زوجتا الشيخ شلاش احداهما متوسطة الطول تميل إلى الامتلاء ، والثانية رفيعة

تفوقها طولا ، وبانتا كأم وابنتها .

والرجال يحملون صواني كبيرة ، فوقها حلل بها خضر ولحم وأطباق فارغة وملاعق ورصات من الخبز .

والأستاذ خميس زيدان يضع الصواني على عربة كارو كبيرة .

انتبه الأستاذ خميس لوجود الشيخ ، فاقترب هامسا :

- رمضان ..

وحين نظر إليه فى ضيق وقال : الله يرحمه ، حمد الله وشكره .

تململ الحصان .. وضرب بإحدى قائميه الأماميتين الأرض .

اقتربت أصوات طلقات الرصاص .

استثار الشيخ شلاش همة الحوذى ، ليسرع ، حتى يلحق بالجنود عند الحصون قبل انطلاق مدفع الإفطار . ما أن تحركت العربة ، حتى دوت القنابل فى شوارع المدينة . وتصايح الناس : الإسرائيليون .. الإسرائيليون .

وسرى الكلام بينهم أن القوات المصرية تراجعت من الشوارع ، وقد خلفت بعض القتلى والجرحى . أسرع الأهالى بالجرحي إلى بيوتهم، وبأربطة الميدان الطبية التى وجدوها معهم ، وبعض مواد الإسعاف القليلة التى لديهم ضمدوا جراحهم ، وحمل بعض الصيادين الحالات الخطرة فى مراكبهم إلى القنطرة غرب .

سار الشيخ شلاش وقد بان أن هيئته الضخمة ، ينبعج منها كرشه قد تهدلت .. وبمعيته الأستاذ خميس الذى يشبهه فى الهيئة، ولكن يقل عنه فى الحجم .. وعرض عليه الأستاذ أن يقضى الليل عنده ، فالطريق إلى بيته لم تعد آمنة . ورحب الشيخ فى سريرته بالاقتراح ، و لم تطاوعه نفسه للتلبية ، قائلا أنه سيتدبر أمره .

* * *

ما أن أشرق صباح السابع من أكتوبر ١٩٧٣ ، حتى تجمع نفر من الأهالى فى شارع المعدية ، يستطلعون ما جرى فى شمال جزيرة البلاح فى عرض القناة . قلوبهم تخفق مع دوي المدافع وغارات طائرات ميج ١٧ على الحصن ، فهو مفتاح الطريق لتحرير القنطرة شرق .

وفى الغرب رسم قائد الكتيبة المهاجمة صورة للحصن على الرمال . الواجهة بعرض ٢٥٠ مترا وبعمق ٥٠٠ متر . أربع دشم بها هاونات ٨١ مم و ٦ رشاشات نصف وثلاث أرباع بوصة ، يحمى الحصن ساتر ترابى محاط بأسلاك شائكة وألغام .

وضع القائد إصبعه فى الوسط تقريبا وقال : مركز القيادة .

عم الصمت قادة المجموعات الذين التفوا حوله . المفرزة والخداع والتأمين والمهندسون والاقتحام . حدد القائد نقطة الاختراق فى المنتصف .

تحركت مجموعتان من المهندسين بالقوارب المطاطية ، لفتح ثغرة للاختراق فى الأسلاك الشائكة والألغام . انطلقت قذائف المدفعية الإسرائيلية . فُقدت إحدي المجموعتين ، ووصلت الثانية إلى شاطئ الجزيرة .

وتعثرت مركبتا مجموعتي الاقتحام والتأمين ، فأمر القائد باستبدالهما بقاربين مطاطيين .

أطلقت سحابة من الدخان من أسفل السد الترابى ، وصاح القائد :

- طوربيد النسف
- فقدناه فى العبور .

زعق فى عصبية :

- كيف .. ؟!

وسرعان ما تمالك نفسه وقال :

- استخدوا الألغام .

وبعد قليل :

مجموعة فدائية .

تقدم خمسة أفراد . استخدموا المقصات اليدوية فى قطع الأسلاك الصلبة ، ونجحوا فى فتح ثغرة بعد أن تمزقت أيديهم ، وقصمت ظهورهم . وصُمت آذانهم من انفجارات الألغام حولهم .

زفر القائد بارتياح ، عندما وصل رجاله إلى قمة الساتر الترابى .

ولم يهنأ كثيراً بارتياحه ، فقد صادفته عقبة كبيرة . سلك آخر مسطح ، مكشوف تماما للقوات المتمركزة داخل الحصن .

انهالت طلقات الرصاص من إحدي الدشم على مجموعة الاقتحام، التى أخذت تلقى قنابل يدوية باتجاهها دون جدوي . انتحى جندي جانباً ، وكان قناصاً أيام حرب الاستنزاف ، واصطاد بطلقة من بندقيته الجندي الإسرائيلى الرابض خلف مزغل الدشمة . انتهز باقى الجنود فرصة الاضطراب الذى لاشك عمهم فى الداخل . ألقى أحدهم بجسده فوق السلك الشائك ، وعبر زملاؤه فوقه ، غير مبالين بمن تحصده الرشاشات . وقسم القائد الجنود إلى ثلاث مجموعات . واحدة إلى مركز القيادة ، وأخريين إلى الجانبين .

دخل الإسرائيليون إلى ملاجئ الحصن ، وأغلقوا الأبواب الفولاذية .

فى تلك الأثناء ، وصلت مجموعة من المشاة المصريين إلى شارع المعدية .. واجهت المجموعة سداً ترابياً ، صعب عليهم تسلقه ، تؤدي الطريق خلفه إلى مركز القيادة الإسرائيلية فى وسط المدينة .

طلب الشيخ شلاش من بعض أعوانه الاستلقاء على الجدار الساتر المواجه للقناة فى صف كسلم ، وأشار للجنود ، فصعدوا فوق ظهورهم .

احتل الجنود بعض المباني ، ونصبوا مدافعهم فى شرفاتها وفوق سطوحها . أطلقوا النار لتغطية عبور وحدة طبية . طلب الشيخ من أحد معاونيه الذهاب إلى الأستاذ خميس ليفتح مدرسته ، لتكون مقراً للوحدة الطبية . أشاح الرجل بوجهه . كان أفراد من قبيلة الشيخ شلاش يقاطعون الأستاذ خميس زيدان ، لأنه ذهب مرة إلى مكتب الحاكم الإسرائيلي للمدينة .

دافع الأستاذ عن نفسه ، أنه اضطر لذلك لانقاذ امرأة كانت فى حاجة إلى عملية قيصرية لتضع مولودها .

ردوا عليه أنه أعطي الحاكم فرصة ليظهر فى ثوب المنقذ . فقد أمر بطائرة هليكوبتر ، أقلعت فوراً إلى مستشفى العريش .

قال الشيخ شلاش :

- سأذهب أنا للأستاذ ، وأحضر أنت مكبر صوت وطف بالشوارع منادياً بالتبرع بالدم .

انتهز الأهالى فرصة إطلاق الرصاص على مركز القيادة الإسرائيلية ، واقتحموا سجناً ملحقاً به ، احتفظ فيه الإسرائيليون ببعض الرجال والنساء رفضوا التبرع بالدم بالأمس لإنقاذ جرحي إسرائيليين .

وأصابت قذيفة من دبابة مكبر الصوت والمتحدث فيه فوق عربة كارو ، وجرى الحمار بطريقة هوجاء وقد نزفت رقبته ، والأهالى يحاولون إيقافه دون جدوي .

وجاءت قوات إسرائيلية من الغرب ومن وسط المدينة ، حاولت

الإحاطة بالقوات المصرية ، لكن هذه أفلتت من الكماشة وانسحبت إلى الشمال فى حماية غطاء كثيف من النيران أتي من الغرب.

وفجأة حلقت الطائرات الإسرائيلية فوق المدينة وسط ذهول الناس . فحائط الصواريخ المصرية ليس بعيداً .. وخفف من ذهولهم قول أحد الضباط الجرحي ، أنه ربما استطاع العدو بوسائله الإلكترونية الشوشرة على قنوات انذار الدفاع الجوي فى هذه المنطقة.

احتمى بعض الأهالى فى المباني ، وتسلل آخرون إلى شارع المعدية. يتلمسون أنباءً من جزيرة البلاح . ويأملون ألا يتكرر ما حدث بالأمس .

* * *

فى جزيرة البلاح ، أمر القائد بإحضار براميل من البنزين والسولار ، ودلقها أعلى الملاجئ فى الحصن وعلى مركز القيادة ، وفى فتحات التهوية .

وما أن أشعلوا النار ، حتى تطاولت ألسنة اللهب نحو السماء ، تتراقص مع الريح .

وسرعان ما فُتحت الأبواب الفولاذية ، وأُسر ثلاثة وعشرون فرداً .

* * *

من البكور ، هرع الأهالى .. شيوخ ونساء وأطفال ، وقليل من الرجال - فأغلبهم معتقلون فى العريش منذ انتهاء حرب ٦٧ - إلى شارع المعدية والشوارع المؤدية إلى القناة .

وما أن عرفوا أن العلم المصرى يرفرف فوق جزيرة البلاح ، حتى علا تهليلهم ، وارتموا فى أحضان بعضهم بعضاً ، وانطلقت

هتافاتهم .. الله أكبر .. الله أكبر .

وباغتهم دوى الرصاص من داخل المدينة .

أشاع بعضهم أن جنوداً إسرائيليين عند جامع الفاتح .

وأشاع آخرون أن القوات المصرية تقترب من الكنيسة اليونانية .

كان الإسرائيليون يضعون مدفع فيكرز فى برج الكنيسة ، وطلقاته تصيب القوات المصرية الداخلة إلى المدينة .

وكان عاصم الحياني ، على رأس مجموعة ، مكلفاً باقتحام الكنيسة ، وتدمير المدفع . فالمدافع المصرية فى الغرب مقيدة ، وكذا الطيران المصرى ، حفاظاً على الكنيسة ، وخشية إصابة الأهالى. الموقف يتغير من ساعة لأخرى . قوات إسرائيلية تنسحب من شارع أو مبني ، وتحل مكانها قوات مصرية ، وبعد قليل تنسحب وتخلى مكانها للقوات الإسرائيلية .

وعند مدخل الكنيسة أكياس من الرمل ، يتمترس خلفها عساكر إسرائيليون بالمدافع الرشاشة . استوقف الشيخ شلاش "عاصم" ومجموعته ، وأخبرهم أن سيحضر بعض التاكسيات من موقف قريب وقرب مدخل الكنيسة ، سيفتعل السائقون مشاجرة ، تندفع على أثرها إحدى العربات باتجاه الأكياس الرملية ، وفى أثرها أخرى .

وعليه أن ينتهز الفرصة .

علا وجيب قلب الشيخ وهو يرقب الموقف .

كان بعض الأولاد يلعبون الكرة " الشراب " فى الوسع أمام الكنيسة ، ركل أحدهم الكرة فتخطت أكياس الرمل . قفز أحد الأولاد فى اتجاهها . وعلى الفور انطلقت طلقات الرصاص فأردت خمسة من الأولاد قتلى . من يومها والأهالى خوفاً على أبنائهم

يهربونهم إلى الغرب .

هل يتكرر الأمر مع عاصم ومجموعته ..

أخرج عاصم ورقة من جيبه وأعطاها له .

- أمانة تسلمها لأهلى إذا ..

عاجله الشيخ :

- لا تكمل ..

وفرت من عينيه دمعتان ..

عاصم فى سن ابنه رمضان .. كان على وشك التخرج من المعهد التجاري العالى ببورسعيد . غداة حرب ٦٧ كان يصطحب بعض زملائه ويذهبون لإتلاف العربات التى خلفها الجنود المصريون وراءهم ، حتى لا يفيد منها العدو . أتلفوا كاوتشوك العجلات بالسكاكين ، وكسروا الفوانيس ، ونزعوا ما استطاعوا من الأسلاك والمواتير والأبواب والزجاج ، وما لم يستطيعوا نزعه ، كسروه أو حرقوه .

وذات مرة انفجر فيه لغم . ورفض عقله أن يتقبل موت ابنه ، فانتحل شخصيته .. وهربه أحد الصيادين إلى القنطرة غرب لعلاجه، فلم تنفع معه الصدمات الكهربائية والأدوية ، فعاد وقد يئس ذووه من شفائه .

ارتطمت العربتان بجدار الكنيسة ، وتدافعت طلقات الرصاص من الجانبين ، واختفى عاصم ومجموعته داخل الكنيسة . تراجع الأهالى إلى مقهي قرب المعدية ، وعيونهم على البرج . وكلما دوت طلقات الفيكرز تلاقت نظراتهم فى أسى.

فجأة صمت المدفع . عمهم سكون وترقب ، وعندما طال صمت المدفع ، أسرع الشيخ شلاش وبعض الأهالى إلى الكنيسة .

خرج ثلاثة أفراد من المجموعة ، وقد علا الحزن وجوههم . يحمل كل منهم زميلا على كتفيه . لمح الشيخ شلاش " عاصم " محمولا ، فلم يملك نفسه وأجهش بالبكاء .

تقدمت ثلاثة تاكسيات ، وضعوا فيها أجساد الشهداء ، لتسليمها إلى وحدتهم فى الخلف .

عاد الشيخ شلاش إلى المقهي ، يعتريه وجوم ، أخرج ورقة عاصم من جيبه . والتقطت عيناه الغابشتان .. " سايق عليك النبى يا أمه .. ما تخلى أخويا يسافر العراق تاني لم ييجي أجازة .. الأرض لو فضلت من غير عناية حتبور وأولادي لسه صغيرين ".. زادت الغبشة ، فطوي الرسالة ، وقد اعتزم أن يسلمها لأهله فى الشرقية فور أن تهدأ الأمور .

لمح الشيخ شلاش الأستاذ خميس قادما من وسط البلد . أسرع إليه معاتبا :

- أين أنت يا رجل

وأشار إلي حيرة الأهالى إزاء التداخل بين القوات المصرية والإسرائيلية .

ابتسم الأستاذ بثقة ولوح بكيس يحمله . أخرج منه عدة مرايا صغيرة .

انتزع الشيخ ابتسامة ، وقال ساخرا :

- غنائم حرب ..

- كُف يا رجل وابحث عمن يجيد السباحة .

- ماذا فى قرابك

سنوزع المرايا على بعض الرجال ، وينتشرون فى الشوارع ، والمكان الذى يتواجد فيه الإسرائيليون يعكسون منه أشعة

الشمس إلى الضفة الأخرى .

تفكر الشيخ بعض الوقت وقال :

- ولماذا السباحة .. سأخبر قائد القوة التى تحاصر القيادة الإسرائيلية ، فيرسل إشارة لاسلكية .

وبعد أن سار عدة خطوات ، التفت إليه :

- كم يلزم قبل الإطلاق .. ؟!

- قبل أن يختفى المرسل من المكان .. تقصد

أومأ برأسه ، فانسال شال أبيض بشراشيب يلفه حول طاقية بيضاء ، خففت من دكنة وجهه الأسمر .

- ثلاث دقائق على الأقل .

أسرع الأستاذ خميس ليوزع مراياه ، ويحذر الناس للابتعاد عن أماكن تواجد الإسرائيليين . ولم يمض وقت طويل حتى انهالت قذائف مدافع الهاون ، وهي معروفة باتخاذها خطا منحنيا ، وتستطيع أن تتجاوز أعالى بيوت القنطرة ، التى لا يتعدي أغلبها دورين أو ثلاثا ، وتسقط فى الشوارع ، حيث القوات الإسرائيلية ، وكلما انسحبوا من شارع وذهبوا إلى آخر ، كلما برقت المرايا ، وانهالت القذائف .

ذهب الشيخ إلى بيته .. وقبل أن يدخله ليطمئن على زوجتيه وأطفاله ، لفتت انتباهه مجموعة من الكلاب قرب خيمته تتحرك فى اضطراب ، وكانت معتادة على الحضور عصر كل يوم ، فيلقى إليها ما يفيض من طعامهم . والخيمة مصنوعة من جلد الماعز المدبوغ ، تحيط بها النباتات الصحراوية ، ومعتاد على النوم بها مهما كانت برودة الجو ، وكان يستطيع من شبابيكها الصغيرة أعلا جوانبها مراقبة القوات الاسرائيلية أثناء خروجها من المدينة كل يوم حيث

كانت تخشى المكوث داخلها ، لتبيت فى معسكراتها خارجها .. عندئذ كان يشعر بالاطمئنان ، ويشرع فى الخروج إذا كان ينوي زيارة أحد ، أو التسوق ، أو الذهاب إلى المقهي .

تقدم من الكلاب محاولا تهدئتها ، والربت على ظهورها ، كانت مذعورة من دوي طلقات الرصاص وقذائف المدافع .. وبالأمس عندما اشتد القصف ، راحت بعضها تجرى هنا وهناك ..وحاول اللحاق بها دون جدوي ، وشاهدها وقلبه يتقطع وهي تلقى بأجسادها تحت جنازير الدبابات منتحرة .

- يا شيخ شلاش .

نفذ الصوت إلى شغاف قلبه .

وقفت صبرية قبالته ، وقد انحسر غطاء رأسها . وفجأة انفجرت باكية .

اقترب منها وقد انقبض قلبه .

- بابا .

انحط الشيخ أمام باب خيمته ، وقد وجم وجهه .

خميس ريدان صعيدي ، عمل سكرتيرا فى مدرسة القنطرة شرق الابتدائية . بعد حرب ٦٧ ، حوصر العاملون فى الصحة والسجل المدني والمدارس وسائر الخدمات ، من غير أهل المدينة داخلها ، وتوقف عملهم بعد أن أغلق الإسرائيليون هذه المنشآت . فى البداية هربوا بعضهم ، لكن الإسرائيليين شددوا الحصار .

ذهب بعض الأهالى إلى فرع بنك مصر ، وأخذوا ما فيه من نقود ، ودفعوا هؤلاء العاملين رواتبهم . وبعد ذلك جمعوا التبرعات ، وعملوا جمعيات ، ليستمروا فى دفع الرواتب ، وتمكن خميس من استئجار محل لبيع الخضروات . حيث كان يذهب إلى رمانة وبالوظة ،

اللتين تحيط بهما بعض الأراضى الزراعيـة ، ويتسـوق بضـاعته فـى يوم السوق فى كل منهما .

وبخح بعض العاملين فى إنشاء فصول فى بيوتهم لتعليـم الأولاد ، الذين تعذر تهريبهم إلى الغرب .

رفع الشيخ رأسه ، وكاد أن يسألها عن كيفية موتـه ، لكنـه أشـار إليها لتدخل البيت الآن ، وقد حمن ماحـدث .. لعلـه بعـد أن أعطي إشارة مبرآته ، سدت عليه الطريـق مركبـات إسـرائيلية مندفعـة ، أو طلقـات الرصـاص مـن أحـد البيـوت ، ولم يسـعفه الوقـت وانهالـت القذائف عبر القناة .

توافد بعض الأهـالى ، والشـمس تميـل نحـو المغيـب ، وأخبروا أن القوات المصرية مازالـت فـى المدينـة . زاد الأمـل أن تبيـت معهـم . لكن إطلاق القذائف من ناحيـة الشـرق بعنـف ، جعلـهم يتوجسـون خوفاً . وخشوا أن تظهر الطائرات الإسرائيلية كما حـدث بـالأمس . وما يسمعونه الآن من أصوات القصف ، هو فى ظنهم الهجوم المضاد لاستعادة السيطرة على المدينة .

اصطحب الشيخ مجموعة من الكلاب ، وبثها على أطراف المدينـة الشـرقية مـع أصحابه . ومعهـم بعـض جنـود الإشـارة الـذين زوده الجيش بهم . كان الشيخ بخبرته يعرف أن الكـلاب عنـدما تستشـعر الخطـر مـن قـدوم الطـائرات الإسـرائيلية تحـرك أذنيهـا إلى الأمـام ، وتعوي بطريقة تنبئ عن خوفها .

و قبل وصول الطائرات بدقيقـة أو نصـف دقيقـة ، يُمكـن إرسـال إشارة لاسلكية للدفاع الجوي فى الغرب .

ولم تكد الطائرات الإسرائيلية تظهر فى سماء المدينة ، حتى كانت صواريخ سام تلاحقها وتسقط بعضها .

والتقط رجال الإشارة محادثة بين قائد القيادة الإسرائيلية وسط سيناء ، وقائد القنطرة ·

سأل المتحدث فى القيادة :

- هل تستطيعون الصمود لمدة ٤٨ ساعة ·

رد قائد القنطرة :

- ليست لدينا ذخيرة ، ولدينا خمسة عشر جريحا وعشرون موتي ، وليست لدينا أدوية ·

قال المتحدث فى القيادة :

- انتظر حتى أتصل بقائد مجموعة العمليات ·

وبعد قليل قال المتحدث فى القيادة :

- إذا استطعتم الصمود فهذا أفضل ، وإن كان ذلك صعباً فسلموا أنفسكم للمصريين ·

* * *

استقبلت الزوجة الأولى صبرية فى اشفاق ، واحتضنتها كابنتها ، فقد تعدت الخمسين وتقارب الشيخ فى العمر ، أما الزوجة الأخرى التى تعدت العشرين بقليل ، فقد سلمت فى فتور ·

لم تنس ما حدث من الشيخ المفضوح ·

اصطحبت الشيخ ، وبرفقتها الزوجة الأخرى وبعض أبنائها إلى العريش ، فى الأربعاء السابق على شم النسيم ، والذى يعرف بأربعاء أيوب ، فى العام التالى للاحتلال ·

وكان الأستاذ خميس وبنته صبرية ، قد سبقا إلى العريش للتسوق ، فقد قطع الإسرائيليون الطريق إلى رمانة وبالوظة وقتها لقيامهم ببناء مواقع عسكرية ·

وأسر خميس للشيخ أنه لم يجد بغيته ، فتحسر الأخير ، لأن بعض

أهالى القنطرة ، تخلوا عن الأحواش المسورة أمام دورهم ، والتى كانوا يزرعونها بالخضروات والنخيل ، وأصبحوا يقيمون العمارات .

قبل الغروب ذهبوا إلى الشاطئ . اندفعوا إلى مياه البحر بملابسهم الكاملة ، كما تقضى التقاليد ، يستقبلون سبع أمواج ، ويهمسون بأمنياتهم ، تيمناً باليوم الذى أنعم الله فيه بالشفاء على نبيه أيوب بعد معاناته المرض سبع سنوات. أغمض الجميع عيونهم ، مستهلين بالدعاء أن يعود الشيخ إلى شخصيته الحقيقية .

وإذا بصرخة تفلت من صبرية ..

حملقوا فى الفتاة المذعورة .. وإذا بصلعة الشيخ تقب وتغطس غير بعيد عنها .

تبادلوا النظرات .. وماجت خواطرهم . تحسرت الزوجة الأولى على الأيام الخالية .

لو كان رمضان حيا ما جرؤ الشيخ على فعلته . كان مغرماً بصبرية وأرادها زوجة ، فمنعه والده ، حفاظاً على تقاليد القبيلة التى تحرم الزواج من خارجها . وعندما ألح أخبره أنها فى الرابعة والعشرين وتكبره بعامين ، وهم لا يعرفون أصلها ووالدها . فمنذ جاءا إلى القنطرة ، لم يغادراها طوال عشر سنوات . فمن قائل أن أباها هارب من ثأر ، ومن قائل أن البنت عملت " عملة " وهرب بها .

وماج خاطر الزوجة الثانية بشئ مختلف . فموجة عالية غمرتهم، وأثناء انسحابها شلحت جلباب صبرية ، وبان فخذاها . فهل تعود للشيخ شخصيته فى مثل هذه المواقف .. ولماذا لم تعد إليه عندما استبد بها الشوق ذات مرة وحايلته . أصر أنه رمضان ولم يقربها .. أياً ما كان الأمر ، فهي متأكدة أن ما رآه ذهب بعقله .

هل كان يكذب طوال الوقت .. ؟! .. وماذا عن الأطباء والدواء الذى يتناوله يوميا .

أما الأستاذ خميس ، فحاول أن يقنع نفسه أن شيئا آخر أفزعها . ولكنه لا يدرى لماذا لم يجرؤ على سؤالها .

وكتمت الزوجة الأولى الأمر فى نفسها ، لعل الله يبتليها بالألم ليرى مدي صبرها . فاليوم يوافق أحد أيام أسبوع الآلام ، الذى يحتفل به الأقباط بالأنبياء والقديسين الذين امتحن الله ايمانهم وصمدوا ورددت فى نفسها : صابرة يارب صابرة .

ولم تجد محاولتها الحديث مع الأقباط الذين يزاملونهم فى البحر ، لصرف الأمر عن بالها .. ينادونك بـ الشيخ .. لعلك تصبح شيخا للقبيلة يوما .. لكن كلمة شيخ خسارة فيك . فرضت نفسك عليهم . ولست أكبرهم سنا .

وتحاشت صبرية عيونهم ، كأنها أتت معصية . هي متأكدة أن الشيخ هو الذى تحسس فخذيها . لكن كيف فعلها وهو غائب ؟!

هل استجاب الله لأمنيتهم ، فشفى الشيخ لحظتها وعندما أخطأ عاوده المرض .

* * *

اقتحمت القوات المصرية مقر القيادة الإسرائيلية ، واستولت على وثائق هامة ، نقلوها إلى الغرب بسرعة ، وأسرت ثلاثة وخمسين إسرائيليا .

أجلسوهم على الأرض وسط ميدان فى مقدمة البلد . عيونهم محمرة . ملابسهم ممزقة . بعضهم مدد ساقيه أمامه وبعضهم جلس محني الظهر . وجميعهم قيدت أيديهم خلف ظهورهم .

لاحت نظرات تشف فى عيون الناس . إلا أن بعضهم داراها .

وحلت مكانها نظرات رثاء ، وبعضهم فار فى داخله غلّ مكنون.

جمعهم الإسرائيليون من بيوتهم فى نفس الميدان فى أحد الأيام الأخيرة من أكتوبر عام ٦٨ ، تحت حراسة مشددة ، أحضر حاكم المدينة جهاز تليفزيون ووضعه أمامهم . وكان إرسال التليفزيون الإسرائيلي قد غطي كل سيناء ، يذيعون الأخبار باللغة العربية والأفلام الجنسية فى سهرة القناة الثانية .

وزعوا عليهم زجاجات باردة من المياه الغازية ، وأخبروهم أنهم فى انتظار إرسال هام . كانت شائعة قد انتشرت أنهم اتفقوا مع الشيخ سالم الهرش ، صاحب الرأي المسموع بين شيوخ سيناء ، على منح سيناء حكماً ذاتياً وفصلها عن مصر . وتأكدت هذه الشائعة بعد أن جمع ديان وزير الدفاع الاسرائيلي رجال الصحافة وزواراً إسرائيليين ، ليشاهدا المصريين تحت الاحتلال ، ومدي ترحيبهم به، وأسرع الأولاد ، فطبعوا منشورات تحض على الإضراب وعدم فتح المحال التجارية . وجاء الصحفيون والزوار ، فوجدا العريش والقنطرة خاليتين ، لا أحد يسير فى شوارعهما ، فقبضوا على بعض الأولاد وأودعوهم مبني المخابرات فى البلدين وعذبوهم ليعترفوا على قادة الإضراب .

ووضعت صبرية قنبلة موقوتة فى لفة طفل صديقة لها ، وذهبتا إلى مكتب الحاكم ، لطلب تصريح زيارة لوالدها ولزوج صديقتها. وغافلت الحراس وتركت القنبلة تحت أحد الكراسى . وكان عامل بورشة إصلاح غسالات وثلاجات قد استعان بجهاز التشغيل الذاتي لغسالة ، وجعل القنبلة موقوتة.

وانفجرت القنبلة بعد أن غادرتا المبني ، مخلفة ضرراً وذعراً .

وبعدها استدعاهما الإسرائيليون وسجنوهما عدة أيام ، منعوا

عنهما الطعام ، وتناوب الحراس ضربهما بالسياط لتعترفا دون جدوى . أعلن المذيع باللغة العربية ، انتقال الإرسال إلى مدينة الحسنة وسط سيناء ، وأن الجنرال ديان سيعقد مؤتمراً صحفياً مع ممثلى الصحافة العالمية ، وسيعلن أنباءً هامة .

تحدث الجنرال عن موافقة شيوخ سيناء على منحهم الحكم الذاتي. وعندما استفسر منه مندوبو وكالات الأنباء ، أشار ناحية الشيخ سالم وسط جمع من الشيوخ وقال :

- سيحدثكم الرجل نفسه .

سأل الشيخ أحد الصحفيين ، مشفوعا بترجمة إلى العربية .

- هل وافقتم على منح سيناء الحكم الذاتي .

قال الشيخ سالم :

- سيناء مصرية مئة فى المئة .

سأله الصحفى :

- هل وافقتم على ما عرضه الجنرال ديان .. ؟

رد الشيخ :

- الجنرال غازٍ ولا يملك فى سيناء حبة رمل واحدة ، حتى يعرض شيئاً .

- وماذا عن الحكم الذاتي ؟

- اسألوا الرئيس المصرى ..

انقطع الإرسال فجأة . وضج المجتمعون فى الميدان بالضحك . نهض الحاكم ، وتقافز الحراس ، وأخذوا يطلقون الرصاص فوق رؤوسهم .

* * *

حدث هرج ومرج .. وسمع دوي لطلقات الرصاص ..

كانت بعض القوات الإسرائيلية قد حوصرت داخل القنطرة ، ولم تستطع المغادرة لأن القوات المصرية تطوق المدينة ، فأسرعت تحتمي بالكنيسة الأرثوذكسية ، أو الكنيسة الكبيرة ، كما يسميها الأهالى . اقتحموا صحن الكنيسة ، وأرادوا الاختباء فى أقبائها التى يتعبد فيها الكهنة تحت الأرض ، فوجودها مغلقة ، ولا أثر للكهنة . أصبحوا محبوسين فى صحن الكنيسة ، والقوات المصرية فى أعقابهم ، فأطلقوا الرصاص فى ذعر واضطراب .. لكن القوة المطاردة أجهزت عليهم .

اندفع الناس يهللون ويكبرون .. أوقدوا المشاعل ، ووزعوا مرطبات شهر رمضان من خشاف وبلح وتين ومشمشية وزبيب على الجنود .

وسرت الأقاويل أن الهجوم المضاد قد فشل .. وأحس أحد الضباط بالقلق الذى لا يريد مغادرة صدورهم ، فطمأنهم ..

الضربة المضادة الإسرائيلية بدأت فى المنطقة من القنطرة شرق إلى الاسماعيلية شرق ، بفرقتين مدرعتين إحداهما شرق القنطرة ، والأخرى على الطريق الأوسط باتجاه الإسماعيلية . وأبقوا فرقة مدرعة ثالثة كاحتياطي لتعزيز نجاح هجوم إحدي الفرقتين .

بدأت الفرقة الأولى بالهجوم فى قطاع القنطرة بلواء مدرع من مئة دبابة ، وبلواء مدرع آخر فى قطاع الفردان ، لاختراق المواقع المصرية والوصول إلى شط القناة . صدت القوات المصرية الهجوم فى القطاعين وفشلت القوات المهاجمة فى معاودة الهجوم ، وانسحبت شرقاً تاركة وراءها خسائر ضخمة فى الأفراد والمعدات .

أعادت الفرقة المنسحبة تنظيم قواتها ، وهاجمت بلواءين مدرعين فى قطاع شرق الإسماعيلية . اندفعت الدبابات الإسرائيلية

باتجاه كوبرى الفردان . وتركناها تتقدم ، فقوي الأمل لديهم فى الوصول إلى خط القناة .

وفوجئت القوات الإسرائيلية أنها دخلت أرضاً معدة للقتل ، والقذائف المصرية مصوبة إليها من ثلاث جهات فى وقت واحد ، دُمرت ثلاثون دبابة فى أقل من نصف ساعة . ونظراً للخسائر الشديدة ، أوقفوا الهجوم وانسحبوا شرقاً ..

عاود الناس الهتاف والتهليل ، وقد بدأ القلق يزايلهم ، خاصة وقد بات واضحاً أن القوات المصرية ستبيت فى المدينة . وزاد من اطمئنانهم ما غنمته القوات المصرية من دبابات السنتوريون والإكس إيه إم سليمة ، تركها الإسرائيليون وهم ينسحبون فى اضطراب .

* * *

ظل تساؤل من عيون المحيطين بالشيخ شلاش : هل سيعيدون الأستاذ إلى بلده ، أم يدفنونه هنا . وفى حزم طلب الشيخ من بعضهم إعداد مدفن له .

وذهب ليخبر بنته بما انتواه ، ووافقه عليه الناس . أطرقت صبرية فى حزن وتمتمت :

- الرأي رأيكم .

هاجت فى نفس الشيخ العبرات .. لم ينس ما فعله يوم إغلاق السجل المدني .. كان يعطي أهل المولود شهادة مختومة بخاتم مدرسته ، بديلاً عن شهادة الميلاد . وحين أراد إلحاق أحد أبنائه بمدرسة فى القنطرة غرب ، لم يعترفوا بهذه الشهادة، وطلبوا استكمال بياناتها من واقع شهادتى ميلاد أو بطاقتي الأب والأم أو قسيمة الزواج . ولما كان زواجه قد تم بالقبول والإشهار ، كعادة

أهل سيناء . ودون توثيق ، ودون الحاجة إلى بطاقة شخصية ليست معه . فقد سافر الأستاذ إلى العريش ، وعمل شهادة تسنين للزوجة من أحد الأطباء ، وعمل له شهادة ساقط قيد ، واستكمل البيانات المطلوبة .

جاء من يخبر الشيخ أن الماء ينقصهم .

رفر .. فعلها الإسرائيليون . نسفوا أنبوب المياه الوارد إليهم من العريش .. وسبق ، غداة الاحتلال أن نسفوا محطة مياه القنطرة، وتمكن بعض الأهالى من إصلاح محطة مياه قديمة ، كانت تعتمد على مشروع لتحلية مياه البحر فى العريش .

الوقت يمضى .. ولابد من إتمام المقبرة . أرسل أحد أتباعه للبحث عن ماء عند القوات المصرية .. سرعان ما عاد وأخبره أنهم أحضروا عربات بفناطيس كبيرة . تقف فى أماكن مختلفة ويوزعون الماء على من يريد .

بش وجه الشيخ ، ونادي زوجته الثانية لتذهب بوعاء وتحضر ماءً لحاجتهم فى البيت . وتراءى أمام وجهه رمضان .كانت هذه مهمته، دون أن يطلب منه .. لو كان موجوداً معه اليوم .. لا تبارح خياله صورته وهو يصطحب أصدقاءه ويطوفون على الجنود والضباط الذين حوصروا فى المدينة . حملوا إليهم ملابس مدنية . واسرعوا إلى السجل المدني قبل حرقه ، واستخرجوا هم بطاقات شخصية وعائلية بمهن سباكين وعمال فى مختلف المجالات . وأحضروا هم أوراقا وطوابع بريد ، ليكتبوا رسائل لطمأنة أهاليهم ، وهربوها مع الصيادين إلى القنطرة غرب .

رجا الشيخ صبرية عدم حضور الجنازة ، لكنها أصرت . فتركها .

بعدها ألح الشيخ أن تذهب إلى بيته ، حتى تفيق مما ألم بها .

ولا تحمل هما . شكرته ومضت إلى بيتها ، وقد أحست أن نظراته ها ، قد غادرتها وخزات كانت تؤلمها . وتساءلت .. هل ستستطيع دخول البيت وحدها . وجدت فى ركابها ، صديقتها التى زاملتها إلى مكتب الحاكم يوم الواقعة . طلبت منها أن تمكث فى دارها عدة أيام حتى تبرأ من حزنها . اعتذرت بلطف .. عما قليل سيفتح المستشفى ، وستعود إلى عملها فى مكتب التحليل .

وأنساهما ما هما فيه ، اندفاع بعض أهالى القنطرة ، إلى المعسكرات الإسرائيلية خارج المدينة ، للاستيلاء على ما خلفه الإسرائيليون . تليفزيونات .. أجهزة راديو .. ثلاجات .. علب شيكولاته .. أجهزة تكييف .. ملابس نسائية داخلية .. مثل تلك التى وجدوها فى مركز القيادة وفى حصون خط بارليف .

حاول الشيخ شلاش ومعاونوه حثهم على التريث خشية أن يعود إليها الإسرائيليون ، فالحرب لم تنته بعد ، ولما عجزوا عن ذلك، عادوا مع الشيخ إلى بيته ، وكان قد طلب من امرأتيه حلب النوق . أرسل الحليب مع معاونيه لتوزيعه على الجنود قائلاً :

- يمنحهم القوة .

الشيطان

انبطح العقيد أرضا ، على تبة تبعد عن جبل " المر " حوالى ثمانية كيلو مترات . وبإشارة من يناه تبعه ضباط أركان حرب اللواء والمعاونون .

رفع رأسه ، وتناول منظاره المكبر . أخذ يستطلع الجبل والمنطقة المحيطة به .

الجبل شامخ بارتفاع مئة وسبعة عشر متراً ، مرابض النيران مستورة ، فلا عجب أن تصلى نيرانها السويس طوال سنوات حرب الاستنزاف ، دون أن ينال منها أحد .

وصلت إشارة من قائد الفرقة ١٩ بالشفرة :

الرموز التى تستخدم فى الرسائل اللاسلكية : كيلوباترا : جريح. بلمونت : شهيد ، دخان : مفقود .

نفث القائد دخان سيجارته وهو يعزم على باقى الضباط ، فى محاولة لتخفيف التوتر . نقر المقدم عزوز الحنفى صورة كيلوباترا على العلبة ، وقال :

- رفقاً بالجرحى .

ضحكوا جميعا وقد رفعوا رؤوسهم .

رمق المقدم عزور القائد بطرف عينيه . كيف تختل هذا الشيطان.

به سريتان من الدبابات ، ومدافع عيار ١٥٥ مم و ٢٥ رطلاً ، وصواريخ مضادة للدروع ، والطرق إليها صخرية .

تناول منظاره وأخذ يستعرض المنطقة بحثا عن مكان ينفذون منه . لم يجد سوى الكثبان والغرود الرملية ، تحيط بالجبل من كل جوانبه ، وعلى مدى تسعة كيلو مترات طول المواجهة ، لا يوجد سوى مدق واحد ، للصعود ، لكن بالتأكيد يركز الإسرائيليون دفاعهم عليه .

تطلع إلى زملائه الضباط .. واستقرت عيناه برهة على القائد الذى بدا مهموماً . لطالما عدَّ نفسه أحق منه بقيادة اللواء ، لولا مشادة بينه وأحد القادة ، أخرت ترقيته لرتبة عقيد .

نظر القائد إلى ساعته وقال :

- الهجوم بعد ثلاثين دقيقة .

أعاد المقدم عزوز الخطة على الجميع للتأكيد :

- من الناحية اليمني سرية دبابات تتبعها كتيبة مشاة على مركبات توباز لمهاجمة التبات فى الجنوب ، ومن الناحية اليمني سرية دبابات ، تتبعها كتيبة مشاة على مركبات توباز للالتفاف من الناحية اليسرى ، متجنبة الدبابات الإسرائيلية أعلى الجبل ، وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات تتوسط القوات المهاجمة للحماية ، مدعمة بوسائل الدفاع الجوي للوقاية من الطائرات .

وقبل أن يصدر الضباط أوامرهم ، استمهلهم ، وطلب من قائد اللواء أن يطلب قصفة من مدفعية الجيش الثالث وأخرى من الفرقة، تركز على المواجهة والأجناب.

انقضت الثلاثون دقيقة ، التى حددها القائد ، وفى تمام الساعة التاسعة صباحاً بدأ الهجوم ..

لم تكد المركبات تتحرك ، حتى أغارت الطائرات الإسرائيلية.. زمجرت وسائل الدفاع الجوي .. وتمكن ملازم احتياط مجدي اسكندر من اسقاط طائرة " اسكاى هوك " .

أسرع القائد إليه واحتضنه . ناوله علبة كيلوباترا .

كان من عادته أن يكافئ من يحطم دبابة بسيجارة ، فما بالك بمن يأسر طياراً .

أخذ الجنود يهللون .. وقد أحدث فيهم سقوط الطائرة فعله.

وفى تمام العاشرة والنصف أصدر القائد أمره بالتحرك نحو الجبل.

تقدمت القوات . هبت عاصفة رملية ، وفقد القادة الرؤية. وحين انقشع الرمل .. انهالت عليهم صواريخ س س ١١ الأمريكية من كل جانب .. لكن لحظهم ، أولاستمرارهم فى الحركة ، فقد ابتلعت الرمال أغلب الصواريخ .

أمر القائد بسرعة الانتشار ، وقفز من دبابة القيادة ، إلى عربة جيب مكشوفة ومعه رئيس العمليات المقدم عزوز ، وأمر السائق بالمسير لتضليل العدو .

وأخذ المقدم عزوز يتابع لاسلكيا مع القادة ، مبلغ التقدم نحو الجبل .. أقلقه التقدم البطئ فاستفسر عما يحدث من ضباط الحد الأمامي . العدو يوجه هجمات بالدبابات والمدفعية والصواريخ . أمر قائد سرية دبابات معه أربعة عشرة دبابة بهجوم مضاد . فجأة ظهرت طائرات هليوكبتر اسرائيلية . أطلقت صواريخها على الدبابات المصرية ، واختفت خلف سواتر من الجبل . وبعد قليل عاودت الظهور والإطلاق . انزعج المقدم عزوز.. لو استمرت الطائرات فى لعبتها ، فسوف تدمر ما بقى لديهم من دبابات وعربات مدرعة . أسرعت دقات قلبه ، وتفصد جبينه بالعرق ،

الذى لصق الهباء الأصفر بجلده . قبل الحرب استشعر من كثرة حركة القوات احتمال نشوبها . أسرع إلى البنك وسحب ما ادخره . ولم يشأ أن يعطيه زوجته خشية أن تفزع وتنقل ذلك لابنه الوحيد ، فتشغله عن امتحانه فى الثانوية العامة . خبأه فى مكان أمين بمنزله وأسر لشقيقها به .

أمر القائد السائق بالتوقف إلى جوار تبة ولحق به بعض الضباط ، لمراجعة موقف القوات .

الكتيبة اليمني محاصرة ، والكتيبة اليسرى ترجلت ، بعد أن تحطمت مركباتها . قطب المقدم عزوز جبينه . مسير المركبات فوق الغرود الرملية بعمق كيلو مترين شبه مستحيل . لكن لابد من تنفيذ الأمر بالاستيلاء على الجبل . فلن تكتمل مهمة الجيش الثالث إلا بذلك . فهو أهم الهيئات الحاكمة فى القطاع . تهدد مدافعه القوات العابرة للقناة رغم بعده عنها بأحد عشر كيلو متراً .

سأل القائد :

- ما هوموقف الدبابات .

قال المقدم عزوز بأسى :

- لم تبق سوي دبابة واحدة .

قال القائد غير مصدق :

- من مئة .

هز المقدم رأسه الذى كاد ينفجر غيظاً ، متحاشيا نظراته . كانت الدبابات منذ قليل تثير عاصفة من الرمال . كيف سيتحرك المشاة الآن .. خيبة .. ألم أجد من كل أقاربى ومعارفي سوي شقيق زوجتى لأخبره عن المخبأ . إنه أستاذ فى تحرير شيكات بدون رصيد .

لا يخرج من قضية ، إلا ليقع في أخرى .

تطلع العقيد إلى وجوه الضباط .. قال أحدهم بصوت مشروخ :

- يعني اللواء الثاني انتهى .. ؟!

وقال آخر :

- ضعنا .. ؟!

ضرب العقيد كفا بكف وقال :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأتي صوت قائد الفرقة ١٩ فى اللاسلكى ، فطلب القائد من عزوز أن يرد .

- أخبار البلمونت .

- انتهت تقريبا ..

- وكليوباترا ..

- نفس الشئ ..

صمت الصوت قليلا وعاد يسأل :

- سوبر ولا عادة (ضابط أم جندي)

- الاثنان ..

صمت ، وبعد قليل ، عاد الاتصال . أحجم عزوز وأشار للعقيد فوضع السماعتين على أذنيه .

- ما أسباب تدهور الموقف .. ؟!

وعجب من نفسه ، وكذا الحاضرون ، وهو يرد :

- اطمئن يا أفندم .

انبثق فى خاطره لحظتها القيام بعمل غير متوقع . وحمسه لتنفيذه ، فكرة بسيطة نفذها الجيش المصرى يوم السادس من أكتوبر . فلكي يهجم لابد أن يفوق القوات المعادية فى العدد وقوة النيران . ولما كان قادة الجيش يعلمون مدي تفوق الجيش

الإسرائيلي فى قوة النيران ، خاصة المدرعات والطائرات ، فقد قرروا القيام بوثبة هائلة يحققون فيها التفوق فى زمن محدد وبعد أن يتمسكوا بالأرض ، يتحولون إلى الدفاع .

فلماذا لا يثب إلى قمة الجبل .. ؟!

بدلاً من محاولة الكماشة التى لم تنجح حتي الآن .

أفضى بفكرته لضباط الأركان .. صمتوا يفكرون . بعد قليل أدركوا ، إما هذا أو الانسحاب ، وهذا غير وارد . الأمر صريح .. لابد من السيطرة على جبل " المر " . فهو مفتاح المنطقة غرب مضيقى الجدي ورأس سدر ، وعليه يرتكز دفاع رأس كوبرى الجيش الثالث .

ترجل القائد .. تبعوه .. وقد جمعوا فلول القوات التى لم تزد عن ستة وعشرين رجلاً . خاضوا فى الرمال .. متحاشين الغرود المتحركة قدر الامكان .. بالقرب من تبة سمعوا صوت استغاثة . قال عزوز وقد غلبه حسه الفكه :

- " الأرض بتتكلم عربى "

اقتربوا من التبة . وجدوا ما يقرب من اثنى عشر جنديا .

سأل القائد عن قائدهم .

- نقيب سالم يا أفندم قائد صواريخ .
- لماذا لم تصعد إلى الجبل .. ؟
- عربات الجيب غرزت فى الرمال .
- أنا قائد اللواء الثاني مشاة ميكانيكي .. سأتحرك أمامك .. اتبعني .

وشرع المقدم عزوز فى إرشاد الجنود إلى مهامهم ، وخط سيرهم، وقد جالت بخاطره سخريته : " كيف تتكلم الأرض بالعربى " ،

عندما كان يسمع أغنية الشيخ سيد مكاوى .

وصلوا إلى مسافة مئتى متر من موقع الكتيبة اليسرى . أبلغه جندي فى المؤخرة ، أن ما بقى من الكتيبة تحاول السيطرة على سلسلة التباب الشمالية . التفت العقيد إلى رجاله وقد أدرك أن رؤيتهم لشهداء الكتيبة على الرمال ، والجرحي الذين يتحاملون على أنفسهم ، قد نال من نفوسهم .

قال :

– هيا يا رجال .. نحن على بعد خطوات من القمة .. وقواتنا تتقدم عن يسارنا .

لم ينبس المقدم عزوز . واحتفظ بوجهه جامدا ، خشية أن تفضحه تعبيراته . كان يعلم أن الطريق إلى القمة يبلغ كيلو مترا ونصفاً لم يقطعوا منهما شيئا يذكر ، وأن القوات على يسارهم إسرائيلية . أبلغه قائد الكتيبة اليمني ، الذى يحاول بما بقى من رجاله أن يحتل الجزء الجنوبى من الجبل أنه حقق بعض التقدم . سار ونظراته أمامه ، محاذراً أن يعثر فى النتوءات الصخرية . هل تضيع النقود . كان علىَّ أن أخبر زوجتى . هى لا يستقر فى يدها قرش .. لا .. لا تخش شيئا .. فحتى اللصوص .. والنشالين فى الباصات أحجموا عن السرقة فى حربى ٥٦ ، ٦٧ ، كما نشر فى الجرائد بعدهما ، هؤلاء لصوص .. وماذا عن النصابين .. ؟!

عثر فى حفرة فانثنى جسده الفارع الممتلئ وفقد توازنه .

دبابتان قادمتان من خلف إحدى التباب . خطوة ويصبح العقيد فى مرمى نيرانهما . قفزة خفيفة وكان إلى جواره ، أحاط بساعده الأيمن جزعه النحيف ودفعه إلى باطن صخرى ، وبذراعه الأخرى أشار لباقى الجنود أن يلزموا أماكنهم .

مرت الدباباتان دون أن يلحظهم أحد .

أفرج عن العقيد .. وأفرجت رئتاهما عن أنفاسهما . لمح فى عيني العقيد ، ما هو أكثر من نظرة امتنان ، وكأنما يعلنه غفرانه عما وصله من تلسينه عنه .

واصلوا الصعود ...

أبلغ أحد الضباط ، عن رؤيته طابورا مدرعاً ، يقدر بثلاث عشرة دبابة . تواروا ، وأمسكوا أنفاسهم ، بينما تتصاعد دقات قلوبهم..

وعندما سارت الدبابات فى طريق مغايرة .. حمدوا الله على نجاتهم .

التفت العقيد إلى الجنود :

- هيا يا رجال .. على بركة الله ..

النهار يتقدم .. والصخور لا ترحم .. خاصة والأحذية تمزقت والأقدام تورمت .. والحلوق تسربت إليها سفوف رملية ، وعلقت برموشهم .

لاحت القمة .. ولم يملك الجميع أنفسهم .. فانطلقوا يهتفون :

- الله أكبر .. الله أكبر ..

وأعقب ذلك ، نصب مصيدة من صواريخ فهد باتجاه القوات الإسرائيلية فى الجنوب .. وفى باطن الجبل ..

ويبدو أن الإسرائيليين ظنوهم قوة كبيرة ، وأنهم فى الطريق إلى تطويق الجبل ، فهرولوا فى فوضى وانزعاج يغادرونه .

وخشية من هجوم مضاد .. اتصل المقدم عزوز برئيس عمليات الفرقة لمعرفة موقف القوات المعادية غرباً . عاوده الاطمئنان ، عندما أبلغه أن رجال الصاعقة دمروا مدافع العدو على ممر الجدي،

وكذلك محطات الإعاقة والشوشرة الألكترونية فى اتجاه جبل المر ، كما قطعوا خطوط مواصلات العدو فى مواجهة الجيش الثالث .

تشجع الجنود ، وتمت السيطرة على الجزء الشمالى الشرقى من الجبل وأعقبه اتمام احتلال الجزء الجنوبى ، ورفع العلم المصرى فى حوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً .

عندئذ أرسل العقيد إشارة لقائد الفرقة بالاستيلاء على الجبل .

لم يصدق وحضر بنفسه ليتأكد من صحة البلاغ .

ولفتت نظره الدبابة الناجية . قال ضاحكا :

- دبابة واحدة .. يا للدناءة .

وقبل أن ينصرف ، قال العقيد :

- عندنا هدية لسيادتك .

وناوله خرائط عمليات وجدها فى مركز قيادتهم وأجهزة ومعدات متقدمة . وقاده إلى خبيئة فى جانب من الجبل .

ابتسم المقدم عزوز .. هل أصل إلى خبيئتي أولا .. أم يسبقني النصاب إليها .. ؟! كانت إجازتي يوما واحداً ، ولم أجد سواه أمامي.

رأي قائد الفرقة أمامه .. مدفع عيار ١٥٥ مم ذاتي الحركة . مدافع عيار ٢٥ رطلا ، وعربة صواريخ مضادة للدبابات طراز س س١١ .

هنأهم ، وسلم مودعاً .

لا وقت للكلام

أبلغ الاستطلاع عن اقتراب كتيبة مشاة ميكانيكية . تساءل قائد الكتيبة العاشرة مشاة عن نوايا الإسرائيليين . اليوم الحادي عشر من أكتوبر ، ونحن على بعد خمسة عشر كيلو مترا من قناة السويس داخل سيناء عند النقطة ١٠٠ ، وفشلت هجمات الإسرائيليين لاسترداد حصونهم .

وبينما يتبادل الرأي مع رئيس عمليات الكتيبة ، قامت الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على مواقعهم . وانهالت قذائف المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدي .

وحتى لا يؤثر الضرب فى الروح المعنوية لجنوده ، أخذ ينتقل بسرعة من موقع لآخر . يطمئن على الأفراد والذخيرة . أمر بإخلاء الجرحي ، وأعاد ترتيب المواقع ، وذهنه مشغول بتقييم الموقف . ونظراً لاشتداد القصف نصحه رئيس العمليات أن يلزم إحدي الحفر .

استمر القصف ما يقرب من ست ساعات .

وشت تعبيرات وجهه بالقلق .

وعندما وصلته بلاغات عن استشهاد كثير من الأفراد ، تجهم

وجهه ، ودفع بأفراد من المطبخ وتحويلة التليفونات فى محاولة للتعويض .

وضحت نوايا العدو .. الاختراق .. لتدمير القطاع الدفاعي للواء العاشر الذى يتبعه. لو تمكنوا من ذلك يفتحون الطريق لتدمير الفرقة الثانية التى هم ضمن قواتها .

أعطي تعليمات بالتشبث بالمواقع مهما كان الضغط .

راجع موقف قواته .. وأنبأت ملامح رئيس العمليات وبعض الضباط بسوء الوضع .

طلب منهم عدم التصرف بعصبية ، وقال :

- لابد من الحديث مع الجنود لرفع روحهم المعنوية .

قال أحد الضباط :

- سيادة العقيد .. التحرك الآن شبه مستحيل .

سأل القائد :

- كم مكبر صوت عندنا ..؟

رد رئيس العمليات :

- ثلاثة .

فكر القائد فى بعض الكلمات لإثارة الحماس .. لكن الإحباط نال منه وقد انبثق سؤال : هل ستؤثر الكلمات فى ظرف كهذا .. ؟!

ودار فى خاطره ما حدث يوم السادس من هذا الشهر ، عند اقتحام قناة السويس . كان قائد الجيش الثالث يعد خطبة حماسية، وأخبره رئيس الأركان أنه لا وقت للكلمات . وفى لحظة خاطفة اتفق الرجلان على كلمتين تؤديان الغرض .

وعلى الفور صدر أمر عسكرى ، بتوزيع خمسة وثلاثين مكبر صوت ترانزستور على مختلف القطاعات ، وكانت الصيحة: الله أكبر.

رددها أكثر من مليون ومئتى ألف جندي ، فزلزلت الأرض تحت أقدامهم صاح القائد فى مكبرات الصوت :

- الله أكبر

ورغم قذائف الدبابات ومدافع الهاون وطلقات المدافع الرشاشة ، التي تخرق الآذان ، جاء ، وكأنه رجع الصدي ، من جنود الكتيبة :

- الله أكبر .. الله أكبر ..

دبت الحميه فى نفس القائد وقال :

- الهمة يا رجال .. الهمة يا رجال .

وزحف باتجاه سرية المواجهة ، بعد أن أصدر أوامره بتوفير دعم لها من مقذوفات مضادة للدروع ، ومدافع هاون ، ودبابات .

لم يكد يزحف عدة أمتار ، حتى حلقت طائرة اسرائيلية . هل استعانوا بطائرة ، بعد عجزهم عن اجتياح السرية . عمه التوتر خشية أن تنال قذائفها أحد المواقع المؤثرة .

اقترب من موقع للمدافع المضادة للدروع . لمح قذيفة تسقط بالقرب منه .

أحكم وضع الخوذة فوق رأسه ، وحمى أذنيه بإحاطتهما وأعلى جبهته بذراعيه ، وانبطح فوق الرمال . مرت دقائق بطيئة ، مرعبة، ولم يسمع شيئا . اتجه بعينيه إليها .. كذبت القذيفة .

لو أصدر أمره لجنود الموقع بالمغادرة ، قد تُفتح ثغرة تمر منها العربات المدرعة لمشاة العدو .

وإذا لم يفعل ، قد تنفجر القذيفة فى أية لحظة ..

وهُوّ فى حيرته ، تقدم أحد جنود الموقع . حمل القذيفة ، وجرى بعيداً وألقى بها .

استغرق القائد فى دهشته زمناً . ليس لسرعة بديهة هذا

الجندي وجرأته ، ولكن لأنه رغم نحافته ، استطاع أن يحمل قذيفة ثقيلة الوزن ، ويجرى بها ، وبسرعة .

أحس بدبيب الأمل فى صدره ..

استغل الإسرائيليون الاضطراب الذى أحدثته الطائرة ، ودفعوا بمركبة مجنزرة .

صاح القائد فى اللاسلكي إلى ضابط الحد الأمامي :

- لا تدع المركبة تقترب .

صعد الضابط من حفرته ، وحمل مدفع ١٠٧ مم المضاد للدبابات، وفى أثره جندي . اقتربا من المركبة ، وأطلقا قذيفة فأخرى .. حتى اشتعلت النار فى المركبة . وأشار قائد السرية لجنديين للحاق بهما ، فهذا المدفع ثقيل جدا ، وطاقته خمسة أفراد .

استعرض النقيب قائد السرية المنطقة بمنظار مكبر . مجنزرة حمولتها عشرة أفراد تقترب من تل عليه بعض الجنود . لو استولت عليه ، ستهدد موقع المدافع المضادة للدبابات ، مما يساعد على عمل ثغرة قد يمرون منها . اتصل بقائد الكتيبة ليشرح له خطورة الموقف . ولم يكد يفعل ، حتى فوجئ بجندي فوق التل ، يسقط على المجنزرة . قتل السائق والرامي بالسونكي . وألقى قنبلة يدوية على الأفراد ، وقفز مسرعاً .

وعلى الفور انهالت قذائف الدبابات ومدافع الهاون على مواقع الكتيبة المصرية . حدد القائد أرضاً للقتل . أمر أفرادها بالصمت التام ، لإغراء العدو على التقدم إليها .

بعد قليل خشى القائد ، أن يفطن العدو إلى حيلته ، فأمر بعض الأفراد بالضرب المتقطع بالرشاشات، لإيهام الإسرائيليين أن المواقع فى المكان قد دمرت ، وأن بعضهم مازال يقاوم .

اندفعت الدبابات الإسرائيلية بسرعة كبيرة ، فارتبك الجنود ، غير المعتادين على هذه السرعة من الدبابات ، وجاءت فى أثرها المركبات المجنزرة ، مما هدد القطاع الدفاعي للواء .

وتمالك الجنود أنفسهم ، وهم يرون الإسرائيليين يندفعون إلى أرض القتل . استدارت مدافع أبراج الدبابات المصرية ، وصوبت نحوهم . ولم تكد قذائفها تتوالى ، حتى كانت فى أثرها قذائف مدافع الميدان الثقيلة ، وخرج جنود المشاة من حفرهم يطلقون صواريخهم من القاذفات المحمولة على أكتفاهم .

لمح القائد أحد الجنود يصوب القاذف إلى دبابة .. فيتخطاها الصاروخ . لم يكد يشعر بالندم للاستعاضة بهذه النوعية من الجنود .. حتى فوجئ بالصاروخ يصيب دبابة أخرى ..

اقترب من الجندي ، الذى تكرر منه نفس الفعل .

كان جندي تحويلة التليفونات فى الكتيبة .. نفس مهنته فى وحدة محلية قبل الحرب . صاح به :

– بيومي .. ؟!

– والله يا أفندم أنشن على دبابة ، الصاروخ يسيبني ويروح دبابة ثانية .

أغرق القائد فى الضحك .. وأخذ يتفقد أرض المعركة .. دُمرت أغلب المجنزرات .. وفرت الباقية تلاحقها القذائف .. ولم يكد يبلغ قائد اللواء ، بنتيجة المعركة ، حتى وجد أمامه بعض الجنود من هواة تقليب الدبابات ..

وضعوا أمامه .. رشاشات عوزي قصيرة المدي .. طبنجات .. برطمانات بها أطعمة .. معاجين أسنان .. " نسكافيه " .. ساعات .. خواتم .. سلاسل ذهبية .. عملات ورقية وهويات .

نـادي أحـد الضـباط ، وأمـر بتسـليم الأسـلحة والمعـدات لقيـادة اللواء ..

وتوزيع الأغراض الشخصـية .. علـى صـائدي الـدبابات .. وعلـى أفرادالعوض .

حــار الضــابط فــى أمــر العمــلات الورقيــة ، فــأمره أن يرســلها للاستخبارات مع الهويات .

وأخذ يفر العملة .. اتضح له أن كل اسرائيلى معه مـا يقـرب مـن خمسين ورقة من فئات كبيرة ، ذات أرقام متتالية .

لماذا يدفعون هم نقوداً كثيرة .. هل ليواصلوا القتال .. ؟ !

قصفة الحرب

دق جرس التليفون فى استراحة الطيارين التى يطلقون عليها الخيمة . ما أن وضع قائد لواء الميج ٢١ السماعة وأشار بيده حتى أسرعوا جميعاً إلى دشم الطائرات . وعند مدخل إحدي الدشم التفت القائد إلى نائبه قاطباً جبينه . وقبل أن يتفوه عاجله النائب :

- تفاءل .. سيادة العقيد .

أدرك القائد ما دار بخلده . فى كل مرة يطيرون للقتال ، يوصيه بابنتيه نرجس وهدي ، اللتين تعيشان فى كنف جدتهما لأمهما ، بعد أن توفيت الأخيرة بمرض مفاجئ . خفف من تقطيب وجهه وقال:

- لو أُصبت .. تول القيادة .

ثوان ، وكانت المحركات تدور ..

تطلع القائد إلى باقى الدشم ، يتأكد من وصول أفراد التشكيلات إلى طائراتهم . رأي أحد الفنيين يشير إلى قدمي نقيب طيار ويصيح:

- حاسب .

نظر النقيب إلى أسفل ، فانفجر الفنى ضاحكاً وأردف :

- الهوك وراءك

علت ضحكات باقى الطيارين ، وقد جال فى خواطرهم ، مايشاع ، أن صواريخ الهوك الإسرائيلية ، تطارد الطيارين حتى

داخل الدشم .

لحظ القائد أن روح المرح التى عمتهم ، لم تنل من علامات التوتر التى تلوح على وجوههم . ونفى عن نفسه أي لوم ، فقد أبلغهم مبكراً بما ينتظرهم ، كي يهيئوا أنفسهم للطلعة الوشيكة . وأخذ يهئ نفسه أيضا لذلك . فى كل مرة يحس وكأنها طلعته الأولى ، تعتريه نفس الرجفة التى اعترته وقتها ، ويتسلل إلى نفسه خوف من المجهول .. كان يزول فور الانطلاق بالطائرة . لكن هذه المرة تحول الخوف إلى قلق استبد به ، عندما كلفته قيادته بتولى المسئولية، ليتخذ قراراته وفق ما يراه وهو فى قلب المعركة ، وستكتفى القيادة بالمتابعة . ولم يهدأ باله رغم إبلاغه بتعزيز لوائه بطائرات من ألوية أخرى . كان يخشى ألا يوفق فى معركة توليها قيادته أهمية كبرى .

وهو يفكر فى الإعداد لما ينتظره تساءل .. هل تبالغ القيادة فى الأمر .. وماذا عن رئاسة أركان الجيش التى توقعت قيام إسرائيل بغارة جوية كبيرة .. ؟! .. هل يبلغوننا بذلك لنظل فى استنفار دائم . أغلب الظن أن هذا صحيح . اليوم هو الرابع عشر من أكتوبر .. هل فى إمكان إسرائيل أن تفعل شيئا .. لقد اقتحم الجيش المصري قناة السويس واستولى على الضفة الشرقية فى سيناء ، وفى اليوم التالي السابع من أكتوبر، قامت إسرائيل بهجوم جوي على جميع مطاراتنا ، ولم تحقق شيئا يذكر .. وطائراتها تخشى الاقتراب من منطقة القناة لأقل من خمسة عشر كيلو مترا خشية حائط الصواريخ.

ومع أن ما انتهي إليه بدا منطقياً .. إلا أنه لم يرتح له تماما .

طالع آخر تقرير للاستخبارات : وصل إلى رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي وفد من وزارة الدفاع الأمريكية ، يضم فى عضويته

الضابط المسئول عن منطقة الشرق الأوسط ، ومعه الصور التى التقطها القمر الصناعي الأمريكي عن المواقع فى جبهة القتال ، وبعض التقارير . وكانت الخطة التى حملها المسئول الأمريكي تتحدث عن توجيه ضربة مكثفة على إحدي الجبهتين السورية أو المصرية حتى يستطيع الإسرائيليون الانفراد بجبهة واحد .

رفع القائد رأسه عن التقرير ومر بخاطره .. شنت القوات الإسرائيلية هجوماً مضاداً بالمدرعات .. ولم ينته إلى نتيجة تذكر .

عاد إلى التقرير : محاولة جذب سلاح الجو المصرى لمعارك بعيدة عن أرض المعركة ، باتجاه الكثافة السكانية فى المنزلة والمنصورة ، الأمر الذى يجعل عمل صواريخ سام ٦ مقيداً ومحدوداً .

أمسك بقلم أحمر ووضع خطاً تحت هذه العبارات وتساءل .. هل يريدون القيام بعمل ، يحرمنا من أي شهية للقيام بأية هجمات ضدهم مستقبلاً كما صرحت بذلك جولدا مائير رئيسة وزرائهم .

نقر بقلمه على سطح مكتبه .. وهو يردد فى سره .. ليس فى الأمر مبالغة ..

اعترته حمية .. لكنه هدأ نفسه ليستطيع التفكير بروية ، والحديث إلى الطيارين دون انفعال .

لخص هم الموقف .. لكي تبقى القوات المصرية شرق القناة من مشاة ومدفعية ودبابات ، لابد من سيطرة جوية على مسرح العمليات ، ووجود هذه القوات فى مكانها ضروري لاستكمال تحرير سيناء ، وهذه السيطرة لا تتم إلا بعناصر من الدفاع الجوي والقوات الجوية ، ونحن نحقق هذه السيطرة فعلاً . ومنطقى أن تحاول إسرائيل إنهاء هذه السيطرة .

ولا يدرى ، لماذا رنت فى رأسه مقولة مذيع إحدي مباريات "التنس" : الكرة القادمة ، هي كرة المجموعة والشوط والمباراة

والبطولة .

وانتهى القائد إلى القول : لا أبالغ إذا قلت أن الصراع العربي الإسرائيلي فى هذه اللحظة هو صراع بين القوات الجوية الإسرائيلية وقوات الدفاع الجوي والقوات الجوية المصرية .

ثوان وكانت الطائرات المصرية فى الجو . وكانت الساعة قد تخطت الثالثة بعد الظهر بخمس عشرة دقيقة . بعض التشكيلات أولا .. وبعدها بدقيقتين باقى التشكيلات .. على أن تصل جميعها إلى سماء المعركة ، نقطة الاكتشاف بالنسبة للعدو ، فى وقت واحد .

كانت المكالمة التليفونية قد أفادت أن شاشات الرادار التقطت أربعة أهداف اسرائيلية قادمة من شمال شرق بورسعيد على ارتفاع من ١٥٠ إلى ٢٠٠ متر تجاه الغرب بسرعة ٨٠٠ كيلو متر فى الساعة.

أكد عليهم بالطيران فى خط مستقيم .. توفيراً للوقود ، والتزام الصمت الاسلكي حتى لا يلتقط الإسرائيليون شيئا .. وبعد ذلك الحديث فى اللاسلكي على القناة الثانية. وأصدر أوامره بتكوين أربعة رفوف . يقوم الأول بعمل مظلة شمال شرق القاعدة بمسافة ٤٠ كيلو مترا والثاني يحتل منطقة شمال غرب القاعدة والثالث لمنطقة صيد حر بحثا عن الطائرات الإسرائيلية ما بين غرب بورسعيد ودمياط والرابع لمنطقة صيد حر مابين دمياط وبلطيم.

ظلت الطائرات الإسرائيلية تناور لتلحق بها الطائرات المصرية فوق المياه الدولية .. لكن الطيارين التزموا بالتعليمات وظلوا يطيرون فوق مياهنا الإقليمية حتى لا تكتسب الطائرات الإسرائيلية ميزة عليها ، فوقودها لن يكفى ، إذا بعدت المسافة ، وربما أثر هذا على الأداء فى المعركة .

اطمأن القائد لما يحدث .. وانتظر قليلا .. ليرى خطوتهم

التالية.. فقد اعتاد الإسرائيليون الطيران بست عشرة طائرة أو تزيد قليلاً على ارتفاع منخفض ، لا تلتقطه رداراتنا .. وما أن نبلع الطعم ونطارد الطائرات القليلة المرتفعة .. حتى تظهر باقى الطائرات ، محققة تفوقاً عددياً ، ومفاجأة ..

لم تظهر طائرات الكمين .. وأبلغته القاعدة فى الساعة الثالثة والنصف عن ثلاثة اختراقات للطائرات الإسرائيلية على ارتفاع منخفض ، بين ٦٠ و ٨٠ طائرة فانتوم تشمل جزءً للحماية وقوة ضاربة من اتجاه بورسعيد وشرق دمياط وبلطيم .ابتسم القائد .. الطائرات بانخفاضها توحي أنها ستنقض فوراً . لكن أى أبله يعلم أنه بعد تفادي الكشف الرادارى بهذا الانخفاض ، لابد من الارتفاع لترى أهدافها قبل أن تنقض . وأصدر أمره بتوجيه طائرات الصيد الحر نحوها ودفع بالمظلتين لتعزيزها . وأوشك أن يسحب طائرات الصيد الحر التى يقودها الشبان ، حيث تدخل منطقة الهدف دون حماية . تركها واثقاً بمساندة زملائهم القدامي .

أحس بعصبية الإسرائيليين ، لطيرانهم المرتبك ، وقد فاجأتهم خمسون طائرة ، وسرعان ما ظهرت طائرات الكمين .

أصدر القائد أوامره لبعض التشكيلات لتتأخر قليلاً ، وقد توقع أن يدفع الإسرائيليون بطائرات جديدة وأمر بالطيران المنخفض ، خاصة عندما يقتربون من منطقة القناة ، حتى لا تلاحقها صواريخ هوك من قاعدة قريبة .

فجأة صاح أحد الطيارين :

أسلاك الضغط العالى .

- ارتفعوا .

ارتفعت التشكيلات وطارت فوق سيناء .

- انخفضوا ..

- لا نستطيع ..

أدرك القائد خطأه .. فقواتنا الأرضية من دفاع جوي ومشاة ومدفعية ، قد تطلق النار عليهم ، خاصة وهم يطيرون فى موقع .. غير الممرات الآمنة المتفق عليها مع هذه القوات .

أسعفته بديهته ، فصاح :

- المنطقة الميته .

أسرعت الطائرات واقتربت جداً من قاعدة صواريخ الهوك ، فهي لا تستطيع أن تصطاد أي طائرة على بعد أقل من كيلو مترين ..

لكن المدفعية الأرضية أصابت ذيل إحدي طائراتنا . قطب جبينه وقد أحس أن الطائرة تهتز بعنف ، ولم تلبث أن اشتعلت بالنار . نادى على الطيار ليقفز بالمظلة غير أنه اندفع نحو القاعدة وفجرها معه .

هل خشى أن يقع أسيراً ، أم أراد أن يحمي زملاءه . انسابت دمعتان دافئتان .. كان قد وعد أن يذهب معه قبل المعركة إلى قريته شرنقاش ، حيث غضبت زوجته عند أهلها ، ومعها عياها ، وتملص .. فكم صالحه وكم حنث بوعده ألا يندفع عند أي بادرة خلافية .

وسرعان ما طارت الطائرات ناحية البحر .. وعادت تناور من جديد فوق شمال الدلتا .

تنفس القائد بارتياح .. وحانت منه نظرة إلى سطح بحيرة المنزلة .. حيث كان يطير آمنا .. فالبحيرة خالية من أية مدافع أو صواريخ .. وعندما استشعر هدوء المياه .. وطياتها المتتالية ، لم يصدق أنه فى معركة . وفى الدقيقة الثامنة والثلاثين وصله بلاغ عن ثلاثة اختراقات اسرائيلية من حوالى ١١ طائرة فانتوم تجاه غرب بورسعيد وشرق دمياط وبلطيم .

وصح ما توقعه القائد .. فقد دفعت القيادة الإسرائيلية بطائرات جديدة أبلغت عنها نقط المراقبة . ثلاثة رفوف من الطائرات تقدر بحوالى ٦٠ طائرة سكاي هوك شمال شرق بورسعيد بحوالى ٢٠ كيلو متراً وفى عمق البحر بحوالى ١٥ كيلو متراً على ارتفاعات مختلفة بين ١٥٠٠ و ٤٥٠٠ متر بسرعة ٤٥٠ كيلو متراً فى الساعة ، وخلفها بحوالى ٥٠ كيلو متراً ظهرت موجة ثانية من الطائرات على نفس الارتفاعات .

و طمأنته القاعدة أن رفين من الطائرات فى الطريق إليه من قاعدة أنشاص لتعزيز القتال فى مواجهة الموجة الثانية ومنعها من الاقتراب من شواطئنا وأن رفوف أخرى من المنصورة وطنطا فى اتجاه بورسعيد ودمياط لمنع طائرات الموجة الأولى من الهرب. اتصل بقائد أحد التشكيلات ليحدد له خط سيره .. لكن الأخير أبلغه أن الممر الذى ستقلع منه طائرته قد دمرته قاذفة اسرائيلية . تساءل القائد فى غضب : كيف أفلتت هذه القاذفة اللعينة .. ؟!

كظم غيظه ، ليستطيع التفاهم مع قائد القاعدة عن البديل . وإذا بقائد التشكيل ينادي عليه فى اللاسلكي من الجو .

أصيب بالدهشة وصاح :

– كيف فعلتها .. ؟!

– لم يكن صالحا من الممر أكثر من خمسمئة أو ستمئة متر .

صمت القائد مفكراً .. يلزمه ألفا متر على أقل تقدير .

– شغلت المحركات بسرعتها القصوى وأمسكت الفرامل ، ثم تركتها فجأة ، فانطلقت الطائرة كالصاروخ ، وقبل تجاوز المسافة السليمة ، جذبت عصا القيادة ، فارتفعت الطائرة فى الجو .

ابتسم القائد.. وجاءت فى باله نرجس وهدي .. كثيراً ما ألحتا عليه ليحكي لهما حكاية قبل النوم .

عاوده تساؤله القلق .. كيف تسللت هذه الطائرة ، وهم يحكمون سيطرتهم على منطقة المعركة .

وما هو قصدهم .. ؟! هل يريدون بتسريب هذه القاذفة إحداث خلخلة تضعف من سيطرتنا فى منطقة المعركة ، إذا أسرعت بعض الطائرات خلفها .

أم يريدون توجيه إهانة .. هـأنتم تسيطرون على مسرح العمليات ..ومع ذلك نستطيع أن ننال من مطاراتكم . وتذكر مقولة بن جوريون رئيس وزرائهم فى حرب ٤٨ : لابد من حسم الحرب مع الجيش المصرى بطريقة مهينة ، تمنع الفرعوني من التعدي على اليهودي مرة أخرى . وأتبع ذلك بدفع قوة إسرائيلية اخترقت الحدود المصرية ، متجنبة القوات المصرية فى غزة ، واستولت على العريش مدة بسيطة ، لإهانتنا . عمه الضيق ، وإذا بأحد الطيارين ينادي فى اللاسلكي :

- مدفعية تطلق النار من اليسار .

وصاح آخر :

- نار من اليمين .

دار بطائرته يتفحص المنطقة ، شرق بحيرة المنزلة ،فلم يجد شيئا . عزا الأمر إلى التوتر والأعصاب المشدودة . على بعد أمتار قليلة ، مرق جسم أمامه ، تبعه ذيل من اللهب . هل تلاحقهم صواريخ الهوك .. ؟! تحقق ثانية ، وأسرع ينادي عليهم لطمأنتهم :

- صاروخ تائه ..!

أدرك القائد أن هذا الصاروخ أطلقته طائرة إسرائيلية ، ليتجه إلى الإشعاع الذي ينبعث من الرادار . يريدونهم أن يصابوا بعمي راداري ، قبل القتال .

ارتفع بطائرته،ليكون كاشفاً للمنطقة أكثر،مطمئنا لما أقامته

قوات الدفاع الجوي من مواقع هيكلية ،تشع نفس ما تبثه الرادارات من إشعاع.وكان قد أعطي تعليماته قبل الإقلاع،أن تبث جميع المواقع فى وقت واحد، فيتوه الصاروخ وينفجر قبل أن يصل إلى هدفه .

زاد وجيب قلبه ، وقد أدرك أنه على وشك الاشتباك .

راجع مؤشرات العدادات .. السرعة .. الوقود .. الارتفاع .. الضغط الجوي .. الاتجاه .. الطائرات الإسرائيلية تطير فى اتجاه سيناء ثم تسرع ناحية البحر .

أمر طياريه بالطيران بالقرب من حائط الصواريخ غرب القناة ، فوق الممرات المتفق عليها . لكن الطائرات الإسرائيلية لم تتبعها .

توترت يده على عصا القيادة .. هل يوفق فى قيادة هذا العدد الكبير من الطائرات .

أطلقت الطائرات الإسرائيلية صواريخ غير مؤثرة ، لعدم الاقتراب، ففهم المناورة .. يناوشون لنسرع فى إطلاق صواريخنا ، وبعد أن تنفد ينقضوا على طائراتنا .. فهم يعلمون أن طائراتهم محملة بضعف حمولة طائرتنا من القذائف .

نادي القائد على التشكيلات بعدم الرد .. ثم عاد واستدرك .. الطائرات فى بعض التشكيلات تطلق صاروخين ، وفى التشكيلات الأخرى تطلق صاروخا .

أمسك القائد عصا القيادة بقوة ، وارتفع قليلا .. ها .. دعهم يعتقدون أن صواريخنا على وشك النفاد .وبعد فترة ، أمر بالاقتراب، وإطلاق دفعة من الصواريخ .

لكن الطائرات الإسرائيلية لم تطلق صواريخها ، ربما فى انتظار أن تسقط الطائرات المصرية خزانات الوقود الإضافية بعد نفادها .

خففت الطائرات الإسرائيلية من سرعتها، وانخفضت فجأة ، ثم

طارت بشكل عمودي لتعلو الطائرات المصرية ، لكن الأخيرة فطنت لها ، فزادت من سرعتها وارتفاعها ..

ضحك القائد فى نفسه ، وخف توتره .. لا تلومونا أيها الإسرائيليون .. فقد مَرنا على أيديكم فى حرب الاستنزاف قبل ثلاثة أعوام . كان الإسرائيليون يرسلون طائراتهم المميزة ، يقودها أكفأ طياريهم ، ليحققوا الصدمة والرعب فى نفوس المصريين . لكن هذا أسهم فى رفع كفاءة طيارينا وهم ينازلونهم ، أما الآن فقد دخلوا الحرب بكل طياريهم العامل مع الباطل .

طالب القائد قادة التشكيلات بالتزام الحذر .. وحين لحظ العزم يشع من أصواتهم اطمأن قليلا .. وصح ما توقعه .. ها هي الطائرات الإسرائيلية تقترب من طائراته غير عابئة.

أطلقت الأخيرة صواريخها ، فاضطربت الطائرات الإسرائيلية وضاقت المسافات بين طائرات الجانبين ، حتى كادت تصطدم ببعضها بعضا .

استعادت الطائرات الإسرائيلية اتزانها وأطلقت صواريخها .. واستدارت ناحية سيناء ، أصيبت طائرتان مصريتان . وجم القائد وخشى أن يدب اليأس فى نفوس طياريه ، وغير بعيد عن ذاكرتهم ضرب الطائرات الإسرائيلية لمطاراتنا فى حربى ٥٦ و ٦٧ دون أن ننال منها .

أصدر القائد أوامره لبعض التشكيلات بمطاردتها ، وأن يكون الطيران بميل يوازي ميل الكرة الأرضية ، حتى لا تلتقطها أجهزة الرادار . اقتربت الطائرات المصرية منها وأطلقت مدافعها الرشاشة.. أصيبت إحداها .. انبسطت أسارير وجهه .

أبلغ قائد محطة رادار غرب بورسعيد ، بحدوث عطل مفاجئ ، وأنه لا يستطيع متابعة الطائرات الإسرائيلية ، واقترح انسحاب الطائرات المصرية من هذه المنطقة .

فكر القائد برهة ، وأعطي أوامره بعدم الانسحاب ، فالمسافة

معروفة بين طائراتهم وطائرات العدو ، وكل ما عليهم أن يحافظوا عليها .

نهشه قلق ..

لماذا لم يأمر قادة هذه الطائرات بالتوجه إلى منطقة أخرى .. وماذا لو قامت الطائرات الإسرائيلية كما فعلت من عدة أيام بقصف أهداف مدنية فى بورسعيد والدلتا ، لتشتت انتباهنا .. أو للنيل من الفرحة التى عمت الناس فور اقتحام قناة السويس ، ونشر وسائل الإعلام فى كل مكان عن خسائر اسرائيل المرتفعة فى الأفراد والمعدات .

طب قلبه .

ماذا لو أسقطوا بعض هذه الطائرات ..

هل يأمر بالانسحاب ..

ربما تسبب فى ارباكهم .

تمتم فى سره : ربنا يستر

عاد وقرر الاتصال بهم .. تردد .. خشى أن يفقدوا الثقة بقيادته..

أنب نفسه .. وحتى لا يفقدوا الثقة تضحي ببعضهم ..

وتنبه فجأة .. القاذفة التى ضربت الممر ..أكيد تسللت من هنا .

أسرع يتصل بالقاعدة ، لتكون على صلة مباشرة بالمراقبة الفردية على امتداد ساحل بورسعيد غربا ، وأن تبلغه فورا بكل مايصلها منها . فقبل الحرب تم تكليف أفراد فى مواقع منتشرة على امتداد حدود مصر شرقا وشمالا للمراقبة ، لأن الطائرات الإسرائيلية المغيرة ، تطير على ارتفاع منخفض جدا ، فلا تلتقطها أجهزة الرادار . واتصل بقائد الدفاع الجوي فى بورسعيد . طمأنه الأخير أن رجاله أطلقوا ستائر الدخان حول المواقع ، لإصابة الطائرات الإسرائيلية بالعمي وتضليل صواريخها الموجهة تليفزيونيا ، وأن الأهالى وضعوا نفايات فى براميل قرب الشاطئ بعيدا عن البيوت ، وأشعلوها لجذب الصواريخ الحرارية .

مؤشر الوقود فى انخفاض .. الطائرات الإسرائيلية عادت من فوق سيناء إلى مياهنا الإقليمية .

الطائرات المصرية فى أثرها . طائرات مصرية أخرى تسرع من الجنوب .. جميع التشكيلات تسيطر على المنطقة . حانت اللحظة .. دق قلبه بعنف ..

لو صحت هذه القصفة ، ستكون قصفة المناورة ، والمعركة ، والحرب . أصدر أمره بإقلاع بعض الطائرات من أبى حماد إلى غرب بورسعيد لقطع خط الرجعة على الطائرات الإسرائيلية .

- اضرب .

انطلقت الصواريخ ..

مرت ثوان .. هل ما يراه حقا .. اللاسلكي صامت . دار نصف دورة ، وخفض من ارتفاعه قليلاً ..

اقتربت بعض الطائرات المصرية من طائرات الموجة الثانية الإسرائيلية بمسافة ٦٠ كيلو متراً .. وإذا بها تستدير راجعة ومعها طائرات أخرى و تسقط حمولتها فى البحر .

نادي اللاسلكي ..

انتفض جسده ..

- سقوط طائرتي سكاى هوك ..

عاد الصمت .. خرفشة .. ضغط بيسراه السماعة على أذنه ناحيتها .

- سقوط خمس طائرات فانتوم إسرائيلية ، وثلاث أعطبت ، تحاول الهرب .

- سقوط طائرتين مصريتين لنفاد الوقود .

غمره شعور بالأسى ..

أخرجه منه نداء من قاعدة المنصورة:

- قائد اللواء .. هل تسمعني ؟
- نعم
- سقوط ثماني عشرة طائرة إسرائيلية وست طائرات لنا . وبقية الطائرات انسحبت.

أعطي أوامره بإقلاع رف من القاعدة لعمل مظلة فوقها لتأمين عودتهم ، وكانت الساعة تشير إلى أنهم وصلوا إلى الدقيقة الثالثة والخمسين منذ بدء المعركة .

سأل القاعدة :

- هل سقطت طائرات من تشكيلاتنا فوق بورسعيد .

عندما جاءه الرد بالنفى ، تنفس بعمق وقد زال من نفسه هم ثقيل، وغتم : الحمد لله

خفض من سرعة الطائرة . لاحت له الأراضي المزروعة ، تقسمها القنوات والجسور إلى مربعات ومستطيلات .. طالعته زهوة الخضرة .. وبعثت فى نفسه إحساساً بالسلام ،لا يكاد يصدق أنه كان منذ قليل ، يطلق النار والصواريخ .

وطار فوق عمارات المنصورة ومآذنها وأبراج كنائسها .. هل كان منذ أقل من ساعة ، يطير زاحفاً فوقها ، لايدري ماذا سيحدث له ، تعصف به الهواجس .

جسده خفيف فوق المقعد .. يكاد يطفو .. هل حقا بلغ الأربعين، وعلى وشك اعتزال الطيران .

مد يده يسقط عجلات الطائرة ..

وشوق جارف يجتاحه ، لاحتضان فتاتيه .

الغزالة

ركب الملازم أول طلعت ونيس عربة جيب ومعه فصيلة من جنوده ، مختصة فى زرع ونزع الألغام ، آملاً أن يصل إلى موقع الألغام، قبل سرية الجنود المضادة للدبابات .

وأخذ يستعيد ما جرى فى الأيام الأخيرة قبل اقتحام قناة السويس . منذ بداية أكتوبر ، لم يسمع للإسرائيليين صوتاً . فهل تركوا الألغام ، أم نزعوها ، وألهاهم تسارع الأحداث عن الإذاعة .

كانت سريته تقوم بزرع الألغام على الطرق والمدقات داخل سيناء، فكان الإسرائيليون يحضرون دقاقة تسير أمام عرباتهم لتفجير ما زرعوه . اهتدي أحد القادة إلى ربط جميع الألغام فى دائرة كهربية ، لا تكتمل ، إلا عندما تصل الدقاقة إلى لغم معين ، وتكون قد قطعت مسافة طويلة ، وعندها تنفجر الألغام جميعها .

بعدها ، كان الإسرائيليون يرسلون مجموعة للاستطلاع بمعدات خاصة . وكلما نجحوا فى نزع بعض الألغام ، أذاعوا فى مكبرات الصوت على قواتنا فى الضفة الغربية : شكرا لكم أيها المصريون .. ألغامكم صناعة جيدة .. خزنا عدداً كبيراً منها .. ونعدكم باستخدامها قريبا .

فى البداية ، استمعوا هم ضاحكين ، لكن .. لم يلبث الضيق أن

نال منهم .. ولفتت كلمة " خزنا " انتباه الملازم طلعت . حادث أحد الفنيين فى إضافة مشعل إضافى للغم ، ينفجر بعد وقت معين، مع ترك المشعل الأساسى بلا قيمة ، ليستخرجوه كيفما شاءوا . وعاودوا نشاطهم فى زرع الألغام وكم كانت فرحتهم راقصة، عندما دوي انفجار هائل فى أحد مخازنهم .

حث السائق على الإسراع .. ولعن الظرف الذى وجد نفسه فيه .. فالجنود فى الضفة الغربية يتسابقون للانتهاء من إنشاء سواتر ترابية رأسية على القناة ، ليحولوا دون وصول الإسرائيليين إلى مدينة السويس ، وها هي السرية المضادة للدبابات فى طريقها إلى الغرب للقاء العدو القادم من الشمال خلف الجيش الثالث .

كادت رأسه تخبط فى سقف العربة ، إثر مرورها فوق مطب ، وأخذ يسب ويلعن أولئك الذين لم يصدقوا أن العدو دفع بعدة مفارز إلى غرب القناة . استوت الأرض أمام العربة ، فأسرعت تأكل الطريق ، بينما خف حنقه قليلاً .. كانت الجبهة الإسرائيلية منهارة .. فهل من المعقول أن يدفعوا بقوات إلى الغرب .. ؟! .. آه .. لو تم التعامل بسرعة مع القوات المتسللة ، قبل أن تستفحل ، ماكنا فى هذا الموقف الآن .

أشعل سيجارة من عقب أخرى رمدت . جذب نفساً عميقاً .. ونفخ فى ضيق .. هل خدع القادة المحليين ، استخدام العدو لطريقة الغزالة .. يرسل قوات صغيرة إلى منطقة بعيدة ، للإيهام أنه استولى على منطقة واسعة .. فكان عدم الرد فى الحال .. حيث اعتقدوا أنهم فى حاجة إلى قوة كبيرة ، بينما الاحتياطي فى الغرب ، عبر القناة لتطوير الهجوم فى الشرق .

لم يعد يجدي التفكير فى ذلك الآن . نادي فى اللاسلكي المقدم

قائد السرية . وعبثا يحاول إفهامه ألا يعبر حتى يطهر المنطقة من ألغامنا . ردد المقدم فى سخرية " ألغامنا " وأغلق اللاسلكي. زاد ضيقة وهو لا يدري كيف يشرح له .. أو كيف يجعله ينتظر .. والإسرائيليون يسرعون .. كانت قوة تسير فى طريق الجناين ، بعد أن فشلت فى دخول الإسماعيلية ، وقوة أخرى تتحرك من السخنة جنوبا ، كي تتقابل القوتان ، ليتم فصل مدينة السويس ، مؤخرة الجيش الثالث عن باقى الجيش فى الشرق . والمقدم يجاهد للحيولة دون ذلك ، حتى يمكن تأمين الممر الذى يصل الجيش الثالث بالسويس وسط حوض الدرس ، وأنا أطلب منه الانتظار .. لعله نعتني بالجنون .. لكن أرواح رجاله فى خطر .

وأخذ يستعيد فى ذهنه ، تحركات وتصرفات الإسرائيليين قبل بدء الحرب ، دون أن يصل إلى جزم . صب غضبه على السائق ، الذى كان يطير بالعربة ، وكادت تنقلب أكثر من مرة ، وهو يطلب منه عدم المبالاة ، وأن يستمر .

اقتربت العربة من القناة وكانت السرية تستعد للعبور . طلب من المقدم أن يمهله بعض الوقت . صاح الأخير غاضبا :

- إلى متي ..

وأولاه ظهره ..

صرخ الملازم :

- لابد من تطهير المنطقة

التفت إليه المقدم وهو يزفر :

- أين .. ؟!

أشار إلى المنطقة الفاصلة بين الجيشين الثاني والثالث ، التى سيمر منها .. وحث جنوده ، فأسرعوا يجسون الأرض بآلاتهم .

وحين أبلغ الجنود الملازم . أنهم لم يجدوا شيئا ، استشاط المقدم غضبا ، وزعق :

- مبسوط .. !!

وأشار لجنوده ..

حار الملازم طلعت .. ماذا يفعل . اقترب منه أحد جنوده وقال:

- شكر للإسرائيليين ..

أشعل الملازم سيجارة من عقب أخرى ، وقد مزقه القلق . هل فى الأمر خداع .. هل نزعوا بعضها وتركوا بعضها .. تحسباً لعبور قواتنا .. فنهلك بأيدينا ..

تحامل على نفسه واقترب من المقدم ، وقال :

- امهلني ساعة واحدة .. وبعدها حاكمني .

لانت ملامح المقدم ، وردد :

- ساعة واحدة لا أكثر .

عاودت الفصيلة جس الأرض .. أوشكت الساعة على الانتهاء .. وقد تعبت أجسادهم من الانحناء وجلوس القرفصاء ، واختلط تراب أصفر بالعرق على جباههم .. والملازم يتبادل معهم .. نظرات متوجسة ، مشفقة .. وعندما هَمَّ أن يأمرهم بالكف ، صاح أحدهم:

- لغم

انتفض ، وأشار لهم بالعمل فى هدوء ..

وظلت أجسادهم متوترة ، وهم ينزعون لغماً بعد آخر ، وانتقلت العدوي إلى أفراد السرية المضادة للدبابات ، وهم يتابعون، مشفقين تارة ، ومتعجلين أخرى .

وما أن أبلغ الملازم طلعت المقدم بتمام تأمين المنطقة ، حتى التقطوا جميعاً أنفاسهم .

مع أشعة الشمس الأولى ، يطير الحمام فوق أرصفة ميناء العقبة، يلتقط مخلفات أجولة الحبوب التى يحملونها من السفن ، وعند الضحى يطير حول الميناء متريضاً ، ومعلماً صغاره الطيران .

حمام أم الرشراش

مع أشعة الشمس الأولى ، يطير الحمام فوق أرصفة ميناء العقبة، يلتقط مخلفات أجولة الحبوب التى يحملونها من السفن ، وعند الضحى يطير حول الميناء متربضاً ، ومعلماً صغاره الطيران .

وبعدها يطير إلى ميناء إيلات القريب ، يلقى فضلاته فوق الشوارع النظيفة والعربات والمارة وواجهات المباني ، وشرفات البيوت ، والغسيل المنشور ، ومظلات المقاهي ، غير عابئ بالسياح الذين ينعمون فى جلساتهم ، بالمنظر الرائع لثلاث دول التقت فى نقطة واحدة . السعودية وامتداد بحر رماها ، الأردن وأشجاره تلوح على البعد خلف العقبة ، وجبال سيناء المصرية ، متغيرة الألوان كلما تقدم النها ر.

وإذا ضاقوا بجلستهم ، قاموا إلى الشاطئ ، يجاورون الإسرائيليين ، الذين حضروا من الداخل ، لقضاء إجازة ، أو يوم عطلة ، ومع دوران حركة الشمس ، واشتداد الحرارة ، ينغمسون

جميعا فى مياه الخليج . ويتمادون فى السباحة ليختلسوا المتعة . من مشاهدة الشعب المرجانية الخلابة ، فى الساحل السيناوي ، بأسماكها ، مختلفة الأنواع ، بألوانها السحرية .

ولا يكادون يستلقون على الشاطئ ، مستعيدين فى خيالهم عذوبة المناظر ، يستقطرون استمتاعهم بها ، حتى يفاجئهم الحمام، يفرغ أمعاءه ، فوق أجسادهم العارية .

تهرع النساء ، وهن يضعن حمالات صدورهن ، وفى أعقابهن الرجال .

وفى المساء ، يعود الحمام إلى أعشاشه فى العقبة .

اشتكي الإسرائيليون إلى الحكومة الأردنية ، التى حاولت بدورها المساعدة . نبهت عمال الميناء إلى عدم ترك أية مخلفات على الأرصفة .

والبحث جار ، لتفهم هذه الظاهرة ، حتى يمكن وقفها .

فمن قائل أن الحمام نشأ فى قرية أم الرشواش المصرية ، وقد هجرها إلى العقبة ، بسبب أصوات إطلاق الاسرائيليين المدافع وهم يستولون عليها . وأن الهدوء لم يعد إليها . فقد تصاعد الضجيج وهم يحولونها إلى ميناء باسم إيلات .

وأن الحمام ، كعادة الطيور ، يعود إلى موطنه الأصلى ، ليتزاوج ويضع البيض .

ومن قائل الطبيعي أن يطير الحمام غربا إلى إيلات ، لأن الشمس

تنبع من شرق العقبة . ولا يستطيع الطير باتجاهها .

ومن قائل أن الحمام ، خاصة وقت العصارى ، وقد خففت الشمس من غلوائها ناحية الشرق ، يطير غربا ، يوسع مجال الرؤية أمامه ليحد من بصره وليحفظ صغاره معالم المنطقة .

وما زال الجدل مستمرا .. دون أن يتمكن أحد من منع الحمام من شن غاراته اليومية على إيلات .

زعل أمريكا

– سيادة النقيب صبحى .

التفت إلى عامل اللاسلكى فناولنى ورقة .

" سفينة أمريكية محملة بالجنود ، تدخل المياه الإقليمية ، الأمـــر بالمرافقة والحراسة حتى تصل إلى البحر الأحمر .

رصدت محطة المراقبة فى قاعدة بورسعيد البحرية هدفا معاديــا ، يتقدم من المياه المصرية . يتقدم واثقا بحماية المدفعية الإســرائيلية على الشط الشرقى للقناة . فإذا مسســناه بســوء ســترد المدفعيــة الإسرائيلية ، بتدمير أي هدف فى متناولها على الضفة الغربية للقناة. مصفاة النفط فى السويس . المنشآت المدنيـــة والعســكرية فــى بورسعيد والإسماعيلية .

رافقت الغواصة المصرية السفينة الأمريكية .. رفت على شفتى ابتسامة .. ماذا لو أطلقت عليها صاروخا ، وجعلتها تترنح ، كما ترنحت من قبل المدمرة إيلات .. ؟!

وعلت قهقهتى رغما عنى ، عندما تذكرت ما يرددونه .. تلفت حولى ، خشية أن يكون أحد قد سمعنى .. فيظن بى الظنون .. ذاهبون لتحرير شعب العراق .. متطوعون لوجه الله .. هل معهم كشف بالشعوب التى تود التحرر .. وهل سيحل الدور على الفلسطينيين لتحريرهم من المستعمرين الإسرائيليين .. ؟!

كانت الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرون ، مساء ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧ ، عندما انطلق الزورق ٥٠١ وفى أثره توأمه .

اتضح من تقرير المخابرات ، أن الهدف المرصود هو المدمرة إيلات ، وسوف تتبعها سفينة أخرى لتعزيزها وقت الحاجة . وأفاد التقرير أن الغرض ليس ضرب أي أهداف عسكرية ، لكن الغرض ، فرض سيطرة اسرائيل على مياهنا الإقليمية ، بعد استيلائها على سيناء فى يونيو من نفس العام ، وإشعارنا بالعجز .

هل يكون وصول السفن الأمريكية إلى مصر ، وعبورها قناة السويس ، لنفس الغرض .. إشعارنا بالعجز ، فلا نهب لنصرة العراق .. ؟!

ذهبت إلى عامل اللاسلكى ، لأرى إذا كان هناك جديد .. خيل إلىَّ سماعي نبرة تهكم فى لهجته وهو يقول :

– يتأخر العبور إلى ما بعد غروب الشمس ، وسوف تكون مدن القناة مطفأة الأنوار .

هل هذا طلب أمريكي .. أم إجراء مصرى .. حتى لا تتطور الأمور إذا رآها الناس .. وإذا كان الإجراء مصريا .. فما هو رد الفعل الأمريكى .. هل يضحكون منه ، غير مبالين ، وقد غزينا فيهم نزعة التفوق ، أكثر ..

كتب قائد إيلات فى مذكراته ، وكان من القليلين الذين نجـوا ، أن قيادته طلبت منه إنزال سبعين فرداً من قواته ، وجاء محلهم سبعون ضابطا من المتخرجين حديثا للتدريب ، ولزرع نزعة التفـوق فـى نفوسهم ، عندما يتوغلون في المياه الإقليمية لعدوهم دون رد .

وفى تمام الساعة الخامسة ، وأضواء الشمس تنسحب عن مدينة بورسعيد ، وعن البحر ، إلى عرضـه ، أعطـى الضـابط المكلـف بتدريبات المناورة التمام لقائد المدمـرة . وسـادتهم حالـة بالثقـة الشديدة .

اقتربت السفينة الأمريكية من بورسعيد .. ماذا لو أرسلت إشـارة إلى القبطان الأمريكي أطلب منه عـدم العبـور ، وأنـذره بـإطلاق الصواريخ لو فعل .. ؟!

ماذا سيكون الرد .. معاهدة القسطنطينية .. لا تجيز لكم منع أحـد من العبور إلا إذا كان فى حالة حرب معكم ..

أنقذت أمريكا اسرائيل من الهزيمة فى حرب ٧٣ ، بجسر جـوى نقل إلى الميدان السلاح والعتاد ..

ويا لها من فرصة سانحة لرد الهدية للأمريكيين بأحسن منـها .. منعهم من تدعيم قواتهم المغروزة أمام البصرة والنجف وكربـلاء ، تنال منها المقاومة العراقية ، وليس بيد قائد العمليـات أيـة قـوات احتياطية .

أم تراه سيقول : القانون الدولى .

وهل احترمتوه بذهابكم إلى العراق دون أن يطلب منكم أحد ذلك .. وهل من القانون المرور فى البيئة المصرية وتعريضـها للإشـعاع الذرى ، وبعض حاملات الطائرات تسير بالوقود النووى .. وسـفنكم تحمل أسلحة محرمة دوليا ، وبعضها مشع أيضا .

لماذا يتعين علينا احترام القانون .. وأنتم لا تحترمونه ..

وهل من القانون الإنسانى ، وليس الدولــــى ، إطـــلاق الذبـــاب ، والفئران ، لإتلاف الأرض والزرع والحيوان فى العراق منـــذ عشـــر سنوات ..

ترى .. ما هو المقابل لعبوركم القناة .. هل سترشوننا بنفحة مـــن النفط العراقى بعد الاستيلاء عليه .

لقد طلبنا منهم بخمسين مليون دولار نفطا عشية حرب أكتوبـــر ، فأعطوه لنا هدية . وعندما حاربنا كان فى صفوف الضربة الجويـــة سربان من طائرات الهوكرهنتر العراقية ، وسقط منهم شهداء .

افعلها يا أبا الأصباح .. أم ستحبكها أنت الآخر وتقول كمـــا قـــال الرئيس السادات :

لا أستطيع أن أحارب أمريكا . ها هو العراق يحاربها ولـــم تنـــهد الدنيا ، بل ويمرغ رأسها فى التراب .

واضح أنك فى هذه المهمة ، لن تصل إلى بر ..

يوم قذفت الصواريخ والطائرات الأمريكية والبريطانيـــة بغـــداد ، فجر الخميس ، كنت مسترخيا فى ميس القاعدة ، وقد خاصمني النوم .. وأنا بين اليقظة والمنام .. رأيت صواريخ سكود المصريـــة تـــدك مفاعل ديمونة والمدن الإسرائيلية الرئيسية .

هاتف فى سرى :

أجننت .. نفعل ذلك والقوات الأمريكية فى المنطقة .

رددت ضاحكا :

– بل هذا وقته .. المفاجأة ستكون عظيمـــة .. وســـوف تصـــاب أمريكا بالحيرة .. أين تتجه بقواتها .. وحبذا لو فعلت سوريا مثلنا .. وقامت إيران بإغراق سفنهم فى الخليج .. وإطلاق صواريخ علـــى قواعدهم فى قطر والكويت والبحرين ..

أخسر ديني ، إن ما ولولت أمريكا .. وأخذت تجـــرى .. دون أن تتمكن من ستر عورتها كما فعلت يوم غزت لبنـــان . رأيـــت قـــائد الغواصة أمامي ، ولست أدرى كيف عرف ما أفكر فيه ، يقول :

– ليس ناقصا إلا خريج مدرسة صنايع يرشدنا إلى ما نعمل .. ألا يكفى أن زملاءك رواد ، وسيحالون إلى المعاش مقدميـــن .. وأنـــت ما زلت فى رتبتك بسبب رعونتك ، ووجدتنى أضحك غـــير هيـــاب ، وأقول :

– أمرك يا أفندم .. لن أخالف القانون .. حادث .. حادث عـــارض يا سيدي .. يحدث فى كل الدنيا .. مركبان للصيـــد ، اصطدمـــا فـــى مدخل القناة وعطلتا الملاحة .. أولانى القائد ظهره ، وهو يتمتم :

– لا فائدة مع أمثالك ..

ضحكت وقلت فى ســـرى .. فليحضـــروا ونشـــا مـــن نيويـــورك لينتشلهما وسلم لى على المترو ..

التفت إلىَّ وقد برقت عيناه ، وأنا فى عجب ، لإدراكه مـــا يـــدور بخاطرى ، وقلت :

– أمرك سيادة القائد ..

وغمغمت ببضعة كلمات . طقت عيناه شرراً . قلت :

– لا تحرمني حق الدعاء .

ولاح فى مخيلتى المخبر على باب المسجد ، يحذر الداخلين مـــن الدعاء على أمريكا ، فقد انتشر الدعاء فى المساجد بعد كل صـــلاة .. بنصرة العراق وهزيمة أمريكا .

هيا يا أبا الأصباح .. افعلها ..ومر أحد جنودك بإطلاق صـــاروخ وليحدث ما يحدث .. يحدث ما يحدث .. ؟! .. سأكون فى خبر كان .

أعطت قيادة البحرية فى الاسكندرية الأمـــر بتحـــرك الزروقيـــن المحملين بأربعة صواريخ . كانت زنة الصـــاروخ طنيـــن ، وزنـــة المقذوف النارى نصف طن . وأوضحت التعليمات أن يطلق الـــزورق الأول صاروخا ، فإذا أصاب الهدف ، أفسح المجال للـــزورق الـــذى يتبعه ليطلق صاروخا .. وعندما تظهر الســـفينة التـــى يتوقعونـــها، يطلقان عليها ، كل زورق صاروخا .

هذه أول مرة أشارك فى عملية كبيرة ، كنت مساعدا وقتها ، وسمعت عن عمليات شارك فيها بعض الزملاء .. أغاروا على ميناء إيلات عدة مرات ، وهاجمت الضفادع البشرية سفناً للعدو .. كما قام زملاء آخرون بتدمير حفار إسرائيلي فى مينا أبيدجان على الساحل الأفريقى فى المحيط الأطلسى .. اليوم فرصتى لتكون لى عملية مثلهم، أحكى عنها.. وأنا الذى كثيرا ما حكيت عما فعله الزملاء .

خرج الزورقان من بوغاز بورسعيد ، اتجها يمينا بعد الشمندورة الثانية ولما كان قائدا الزورقين يعلمان ، أنهما يظهران الآن كنقطتين على شاشة رادار المدمرة إيلات ، وأنها سوف تميز هويتهما من سرعتهما ، فقد سارا ببطء شديد ، كأنهما مركبا صيد . واتجها يمينا أكثر ، كأنهما لا يقصدان المدمرة ، لتتأكد ظنون الإسرائيليين أنهما مركبا صيد .

وعندما أصبح الزورقان على مسافة عشرين كيلو مترا من المدمرة ، أبلغا قائد القاعدة فى بورسعيد أنها فى متناولهما، فالصاروخ مداه أربعون كيلو مترا .

وسرعان ما جا ءالأمر بتدمير الهدف .

أخذ الزورق الأول خط سير الإطلاق ، وأطلق صاروخا . أسرع القائد مع رجاله إلى غرفة الوقاية المدرعة . بعد قليل صعدوا إلى سطح الزورق . تهللت وجوههم بالفرحة . أصاب الصاروخ جنب المدمرة المواجه لهم ، والنار مشتعلة . نسى القائد مع رجاله ، فى فرحتهم الغامرة ، التعليمات ، وأطلقوا صاروخهم الثانى .

كتب قائد المدمرة إيلات فى مذكراته : أصاب الصاروخ الثاني الصارى ، وأتلف جهاز الإرسال اللاسلكى ، وغرفة الآلات ، وأن المادة الحارقة المتسربة من الصاروخ أشعلت فيها النار . وأنه لم يستطع إرسال إشارة استغاثة لقيادته فى حيفا .

وانتظر أن تدرك القوات الإسرائيلية على ضفة القناة الشرقية ما حدث له .

دخل الليل ، ومالت إيلات على جنبها، وتسرب الماء إليـــها مـــن
الفتحة التى أحدثها الصاروخ الأول ، وبات غرقها مسألة وقت .
صدر الأمر من قاعدة بورسعيد بعودة الزورقيـــن ، فقـــد طلبـــت
القيادة فى الإسكندرية بعد أن علمت بما حدث ، ألا يطلـــق الـــزورق
الثانى صاروخية ، تحسبا لظهور السفينة الإسرائيلية .
شاركنا قائد زورقنا حزنه ، الذى رأينـــاه علـــى وجهـــه ، لعـــدم
اشتراكنا فى العمليات ، فإيلات نصـــف القـــوة الضاربـــة للأســـطول
الإسرائيلي فى هذا الوقت .
هرب القائد من نظراتنا وانسحب إلى مكان قيادته فى الـــزورق .
الأمر هو الأمر . وكنا جميعا نشعر بما يدور فى خاطره ، فقـــد كنـــا
نشاركه فى لوم زميله قائد الزورق الأول ، لأنـــه اســـتأثر بالـــهجوم
وأطلق صاروخين خلافا للأوامر .
أطبق الظلام على البحر ، فأتاح لنا الفرصة لنهرب مـــن نظـــرات
بعضنا بعضا .
فجأة جاء الأمر من الإسكندرية : أن يقوم الزورق الثاني بالإسراع
فى الإجهاز عليها . حرنا فى تخمين السبب .. هل هو عـــدم ظـــهور
السفينة المتوقعة ، أم خشية أن تسارع وحدات من ســـيناء لنجـــدة
الغرقى ، أو توقع ظهور زوارق معادية تساهم فى ذلك .
أسرعنا ننفذ الأمر غير مصدقين .
خرج الزورق إلى عرض البحـــر ، بنفـــس الطريقـــة الســـابقة ،
وسرعان ما أخذ خط سير الإطلاق . أطلقنا الصاروخ الأول وأســـرع
الطقم إلى غرفة الوقاية .. وعندما صعدنا إلى السطح لم تسعنا الدنيـــا
من الفرحة ، ونحن نرى قلب المدمرة مشتعلا بالنار فى كحل الليل .
وبينما أصوات الانفجارات تدوي أطلقنا الصاروخ الثاني ، فقضينـــا
عليها تماما .
ونحن على وشك الدخول إلى بوغاز بورسعيد ، طاف بخاطرى . .
هل أستطيع أن أروى عما نقوم به الآن ..

ذهبت إلى عامل اللاسلكى ، متشبثا بأمل أعرف أنه غير موجود .
- لديك جديد .. ؟!
- لا شئ .
قالها وضحك . ازددت عصبية وقلت :
- ليس وقته .
رد كأنما ليخفف عني :
- قبطان سفينة تجارية زعلان .. لأن سلطة الميناء أخرته حتـــى نعبر .
أدركت أنه كان يتنصت ، لم آبه وسألت :
- جنسيته .
- بريطاني .
فجأة ركبنى عفريت وقلت :
- أدخل على تردده اللاسلكى
تطلع إلىّ بعينين متسائلتين ، فقلت .
- لا يرضينا زعله .. أطلب منه العبور .
- ولكننا على وشك ..
حملقت فى عينيه .. ظل يواجهني بنظراته برهة ، وحين أدركــت أنها أخذت تلين ، شجعته :
- انطفأت أنوار بورسعيد .
فتمتم :
- ولا يرضينا زعل أمريكا .

المحتوى

ببليوجرافيا .. فؤاد حجازي وأدب الحرب

أولا: القصة القصيرة

اسم القصة	مكان النشر	التاريخ	البلد
١ غراميات أوم...	ملحق م. آخر ساعة	١٤ / ٤ / ١٩٦٥	القاهرة
٢ سلامات	م. روز اليوسف	١٩ / ٢ / ١٩٦٨	القاهرة
	ج. الجمهورية	١٥ / ٤ / ١٩٩٩	القاهرة
٣ حارس الحدود	ج. العمال	١٣ / ٢ / ١٩٦٩	القاهرة
	ج. الأهرام المسائي	٢٥ / ٢ / ١٩٩٩	القاهرة
	ج. الأهرام	٨ / ١٠ / ١٩٩٩	القاهرة
٤ فانتوم	الأسبوع الثقافي (العدد الأسبوعي من ج. الفجر)	١٦ رمضان ١٣٩٣ هـ	طرابلس - ليبيا
٥ غارة	ج. المساء	٢٨ / ١١ / ١٩٧٣	القاهرة
	ج. الأهرام المسائي	٣ / ١٠ / ١٩٩٣	القاهرة
٦ تلك اللحظة من حياة شرح	ج. الأسبوع الثقافي	٣ / ١٠ / ١٩٩٣	طرابلس - ليبيا
وبعنوان تلك اللحظة من حياة الإنسان	ج. الأهرام المسائي	٣ / ١٠ / ١٩٩٣	القاهرة
	ج. الجمهورية	٢٠ / ٩ / ١٩٩٩	القاهرة
٧ المصريون قادمون	م. الزهور - ملحق الهلال	١١ / ١١ / ١٩٧٤	القاهرة
	ج. الأهرام المسائي	٣ / ١٠ / ١٩٩٣	القاهرة
٨ مصر ٩٧	م. الثقافة	يناير ١٩٧٥	بغداد
وبعنوان: قوة مصرية ٩٧	جريدة الأهرام المسائي	٢٦ / ٩ / ١٩٩٩	القاهرة
٩ السويس مدينة مغلقة	م. الكلمة	عدد ٢ ١٩٧٦	الإسكندرية
	ج. العربي	٣ / ٥ / ٢٠٠٠	القاهرة
١٠ قنص الدبابات	ج. الجمهورية	٦ / ١٠ / ١٩٩٨	القاهرة
١١ دبابة أحمس	ج. المساء	١٥ / ١ / ١٩٩٩	القاهرة
١٢ ملاح على رأسه ناموسية	ج. الأهرام المسائي	٩ / ٥ / ١٩٩٩	القاهرة
١٣ حدث في خان يونس	ج. العربي	٢٦ / ٥ / ١٩٩٩	القاهرة
١٤ عامل شفرة	ج. الأهرام المسائي	٣٠ / ٥ / ١٩٩٩	القاهرة
١٥ من سيقرع الجرس	ج. الجمهورية	٨ / ٣ / ١٩٩٩	القاهرة
	ج. العربي	١١ / ٨ / ١٩٩٩	القاهرة
١٦ هروب هروب	ج. الزمان	٣١ / ٨ / ١٩٩٩	القاهرة
١٧ لحظة مرار	ج. العربي	٣ / ١١ / ١٩٩٩	القاهرة
١٨ بولندي في جبل المغارة	ج. القاهرة	٧ / ١٠ / ٢٠٠٠	القاهرة
١٩ حمام ... الرترانش	ج. أخبار الأدب	١٢ / ٦ / ٢٠٠٥	القاهرة
٢٠ نجمة سيناء	ج. أخبار الأدب	١٩ / ٣ / ٢٠٠٦	القاهرة

م. مجلة   ج. جريدة   ك. كتاب

ثانيا : الرواية

اسم الرواية	مكان النشر	التاريخ	البلد
١- رجال وجبال ورصاص (الحلقة الأولى) (الحلقة الثانية) (الحلقة الثالثة)	م. سنابل م. سنابل م. سنابل	سبتمبر ١٩٧٠ نوفمبر ١٩٧٠ فبراير ١٩٧١	كفر الشيخ كفر الشيخ كفر الشيخ
٢- المحاصرون (الحلقة الأولى) (الحلقة الثانية)	ج. الأهرام المسائى ج. الأهرام المسائى	٢ / ١٠ / ١٩٩٤ ٩ / ١٠ / ١٩٩٤	القاهرة (نشر فى الحلقتين حوالى ستة فصول وتوقف النشر فجاة دون تنويه)
٣- الأسرى يقيمون المتاريس (فصل بعنوان القطار الجنائزى) (فصل بعنوان هروب) فصل تحت عنوان " الأسرى يقيمون المتاريس " و نشرت الرواية كاملة فى ست حلقات	م. الزهور ج. المساء ج. الأسبوع الثقافى م. الثقافة ج. الأهرام المسائى	سبتمبر ١٩٧٣ ٢١ / ١١ / ١٩٧٣ ٤ / ٦ / ١٩٧٦ مارس ١٩٧٤ ١٥ / ٩ / ١٩٩٦ ٢٢ / ٩ ٢٩ / ٩ ٦ / ١٠ ١٣/١٠ ٢٠/١٠	القاهرة القاهرة طرابسل — ليبيا بغداد القاهرة
٤- الرقص على طبول مصرية (الفصل ٤١ بنفس عنوان الرواية) الفصل رقم ٤ تحت عنوان الكعكة الفصل رقم ٤٦ تحت عنوان : ملكة النحل الأمريكية	ج. الجمهورية م. المحيط الثقافى ج. الجمهورية	٥ / ١٠ / ٢٠٠٠ ديسمبر ٢٠٠١ ١٩ / ١٠ / ٢٠٠٣	القاهرة القاهرة القاهرة

ثالثا: المقال

عنوان المقال	مكان النشر	التاريخ	البلد
١- مذكرات جندي مصرى (ندوة عن أدب الحرب)	م. المنصورة الثقافية	يناير ١٩٩٣	المنصورة
٢- يوميات جندي وأدب المقاومة	م. الثقافة الجديدة	سبتمبر ١٩٩٠	القاهرة
٣- معركة المنصورة فى الأدب المعاصر	ك . ظلال الإبداع إقليم شرق الدلتا الثقافى	فبراير ٢٠٠٢	المنصورة
٤- ندوة عن أدب المعارك	ج. المساء	١٩ / ١٠ / ١٩٩٣	القاهرة
٥- قراءة فى عيون موسى قراءة فى عيون موسى	ج. المساء ج. المصرى اليوم	١٧ / ٣ / ٢٠٠٣	القاهرة القاهرة

رابعاً : المقالات والدراسات عن الروايات والقصص القصيرة :

عنوان المقال	الكاتب	مكان النشر	التاريخ	البلد
١ برقية من جندي (عن مجموعة سلامات)	محمد صدقي	ج. الجمهورية	١٠ / ١٢ / ١٩٦٩	القاهرة
٢ سلامات	د. السعيد الورقي	ج. الصحوة	٢٠ / ٢ / ١٩٧٠	الإسكندرية
٣ لمحات حول سلامات	محمود حمدي عقل	م. براعم (ماستر)	أبريل ١٩٧٠	طهطا
٤ سلامات صور ..	فاروق منيب	ج. المساء	٢٥ / ٢ / ١٩٧١	القاهرة
٥ – الغزو الإقليمي عن سلامات وروايتين أخريين للمؤلف)	خيري شلبي	م. سنابل	١٥ / ٣ / ١٩٧١	كفر الشيخ
٦ المحاصرون	علاء الديب	م . صباح الخير	١٥/١٠/١٩٧٢	القاهرة
٧ سلامات	علاء الديب	م. صباح الخير		القاهرة
٨ المحاصرون	رمضان أبو شويشة	ج. الأسبوع الثقافي	١٦ رمضان ١٣٩٣ هـ	طرابلس – ليبيا
٩ عندنا أدب مقاومة (عن سلامات والأسرى ورجال وجبال)	د. أحمد حجي	م. سنابل	مارس ١٩٧٢	كفر الشيخ
١٠ – سلامات لكل المقاتلين	محسن الخياط	ج. الجمهورية	٢٥ / ٢ / ١٩٧٠	القاهرة
١١ المحاصرون	أبو المعاطي أبو النجا	م. الزهور	فبراير ١٩٧٣	القاهرة
١٢ الأدباء والحرب (عن سلامات)	حسن محسب	م. الإذاعة	١١ / ٤ / ١٩٧٠	القاهرة
١٣ سلامات	محمد النوراني	ج. الأيام		الخرطوم - السودان
١٤ المحاصرون	د. السعيد الورقي	ج. الصحوة	٢٣ / ١ / ١٩٧٤	الإسكندرية
١٥ – سلامات	محمود حنفي كساب محمود حنفي كساب	م. الموقف الأدبي ك . المحرض (أدب الجماهير)	تشرين الأول ١٩٧٣ يونيو ١٩٧٧	دمشق – سوريا المنصورة
١٦ حرب أكتوبر عن : المحاصرون ورجال وجبال	عبد الرحمن أبو عوف	م. الثقافة	شباط ١٩٧٥	بغداد
١٧ – سيمفونية الفزع والبطولة	محمود حنفي كساب محمود حنفي كساب	م. الشرنقة ك. المحرض (أدب الجماهير)	ديسمبر ١٩٧٥ يونيو ١٩٧٧	طنطا المنصورة
١٨ رواية من أدب الحرب	مصطفى الشندويلي	م. النصر	أبريل ١٩٧٦	القاهرة
١٩ – الأسرى يقيمون المتاريس	محمد الشريف	م. القصة	يونيو ١٩٧٦	القاهرة
٢٠ الأسرى يقيمون المتاريس	علاء الديب	م. صباح الخير	٢٤ / ٦ / ١٩٧٦	القاهرة
٢١ المحاصرون	فريدة النقاش	ج. نشرة نقابة الصحفيين	١٩٧٣	القاهرة

عنوان المقال	الكاتب	مكان النشر	التاريخ	البلد
٢٢ عتليت تشهد	عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل	ج. الأسبوع الثقافى	١٦ رمضان ١٣٩٦ هـ	طرابلس ليبيا
٢٣ المحاصرون	عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل	م. الشورى	مارس ١٩٧٧	طرابلس ليبيا
٢٤ – رجال وجبال ورصاص	عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل	ج. الأسبوع الثقافى	١١ / ١١ / ١٩٧٧	طرابلس ليبيا
٢٥ – صورة من أدب المقاومة	(دون امضاء)	م. فنون	١٠ / ٥ / ١٩٨١	بغداد
٢٦ البطولة والمقاومة	على عبد الفتاح	ج. الوطن	٩ / ١ / ١٩٨٦	الكويت
		م. الطليعة الأدبية	أبريل ١٩٨٦	بغداد
٢٧ – كلمة نقد " عن الأسرى يقيمون المتاريس "	جمالات يونس	ج. الجمهورية	١٥ / ٥ / ١٩٨٦	القاهرة
٢٨ – الأسرى يقيمون المتاريس	نبيل خالد	ج. المساء	٢٨ / ٨ / ١٩٨٧	القاهرة
٢٩ – ف.ح. والإبداع الروائى	عبد العال سعد	م. الرافعى	ديسمبر ١٩٨٨	طنطا
٣٠ – مراجعات فى القصة والرواية (عن المحاصرون ورجال وجبال)	عبد الرحمن أبو عوف	ك. كتابات نقدية	يوليو ١٩٩٤	القاهرة
٣١ – عن الأسرى يقيمون المتاريس	د. مارينا ستاغ	ك. حدود حرية التعبير	١٩٩٥	القاهرة
	د. مارينا ستاغ	ج. حقوق الناس (مركز الدراسات والمعلومات لحقوق الإنسان)	نوفمبر ١٩٩٥	القاهرة
	د. . مارينا ستاغ	م. أوراق ثقافية إقليم شرق الدلتا	مايو ٢٠٠٢	المنصورة
٣٢ – الأسرى يقيمون المتاريس	د. السيد نجم	ك. الحرب سلسلة أدب الحرب الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٩٥	القاهرة
٣٣ تصنيف الرواية فى أدب الحرب	د. السيد نجم	م. الثقافة العربية	يناير ١٩٩٧	طرابلس ليبيا
٣٤ – الأسرى يقيمون المتاريس	ممدوح رزق	ج. المساء	١٣ / ١١ / ١٩٩٥	القاهرة
٣٥ – عن روايتي : المحاصرون ورجال وجبال وكتب أخرى	د. حمدي حسين	ك. الرؤية السياسية فى الرواية الواقعية فى مصر (دار المعارف) (رسالة دكتوراه)	١٩٩٤	القاهرة
٣٦ رواية الحرب عند ف.ح	محمود حنفى كساب	ك. المشهد الإبداعي بالدقهلية (سلسلة كتابات نقدية العدد رقم ٨٣ الثقافة الجماهيرية)	ديسمبر ١٩٩٨	القاهرة
		ك. كبرياء الرواية (الثقافة الجماهيرية)	سبتمبر ٢٠٠٠	القاهرة

عنوان المقال	الكاتب	مكان النشر	التاريخ	البلد
٣٧- الزمن فى رجال وجبال ورصاص	أمين مرسى	ك. ف .ح يقرع الطبول	نوفمبر ٢٠٠٠	المحلة الكبرى (كتاب سامول)
٣٨- العزف على أوتار الحرب	محمدناجي المنشاوي	ك . ف .ح يقرع الطبول	نوفمبر ٢٠٠٠	المحلة الكبرى
٣٩- الخليفة والرقص على طبول مصرية	د. جمال عبد الناصر	ج. الأهرام	٢٨ / ٨ / ٢٠٠١	القاهرة
٤٠- ف.ح يرقص على طبول مصرية	فرج مجاهد	م. اضواء	٢٠٠١	ديرب نجم
٤١- حجازي وأدب الحرب	طارق الطاهر	ك. جوائز الدولة	أكتوبر ٢٠٠١	القاهرة
٤٢- متى تتحول الحرب إلى جزء من التفكير الشعبى	عزازي على عزازي	م. أوراق ثقافية إقليم شرق الدلتا	مايو ٢٠٠٢	المنصورة
٤٣- كتابات متفردة عن أدب الحرب	د. جمال عبد الناصر	م. أوراق ثقافة إقليم شرق الدلتا	مايو ٢٠٠٢	المنصورة
٤٤- قراءة فى الرقص على طبول مصرية	محمودعرفات	م. أوراق ثقافية إقليم شرق الدلتا	مايو ٢٠٠٢	المنصورة
٤٥- المحاصرون	زينب غازي	ج. المساء	٢٠٠٢/٤/١	القاهرة
٤٦- المقاومة والتجربة الحربية	د. السيد نجم	ك. ظلال الإبداع إقليم شرق الدلتا الثقافى	١١ / ٢ / ٢٠٠٢	المنصورة
٤٧ — الأسرى والمتاريس	سعد القرش	ج. الأهرام المسائى	٣ / ١١ / ١٩٩٢	القاهرة
٤٨ — الأسرى يقيمون المتاريس	صفوت سليمان	ج. المساء	٤ / ٦ / ١٩٩٣	القاهرة
٤٩- نشيد الحرب والحرية	شمس الدين موسى	ج. الأهالى	٧ / ٧ / ١٩٩٣	القاهرة
٥٠ — الحدث فى الرواية السياسية (عن الأسرى)	د. حسين على محمد	رواية الأسرى ط٦ (أدب الجماهير)	أكتوبر ٢٠٠١	المنصورة
٥١- الرقص على طبول مصرية	صبرى عبد الله قنديل	ك. أبحاث المؤتمر الأدبى الثاني فى ديرب نجم	٢٠ / ٨ / ٢٠٠٣	ديرب نجم
٥٢- الرواية والحرب (عن الأسرى)	د. محمد السيد إسماعيل	م. الثقافة الجديدة عدد ١٦١	أكتوبر ٢٠٠٣	القاهرة
٥٣- هل أقيمت المتاريس فعلا	إبراهيم خطاب	ك. هوية الأدب فى عالم متغير	أبريل ٢٠٠٤	المنصورة
٥٤- رجال وجبال ورصاص	د. السيد نجم	ك.المقاومة والحرب فى الرواية العربية (كتاب الجمهورية)	أبريل ٢٠٠٥	القاهرة
٥٥- فؤاد حجازي يدعونا للرقص على طبول الإرادة المصرية	صبري قنديل	ج. العربى	٤ / ٩ / ٢٠٠٥	القاهرة
٥٦- سفر الحرب والمقاومة	د. محمد السيد إسماعيل	ج. العربى	١ / ١ / ٢٠٠٦	القاهرة
٥٧- الرقص على طبول مصرية	د. جمال عبد الناصر	ك. قراءة فى القصة والرواية (الكتاب الفضى عن نادي القصة)	٢٠٠٥	القاهرة

خامسا الكتب

١- سلامات . مجموعة قصصية . الطبعة الأولى : نوفمبر ١٩٦٩ (أدب الجماهير) المنصورة . وتحوي حارس الحدود - سلامات - هروب - ملازم على رأسه ناموسة - لحظة مرار - عامل شمرة - طريق اللاعودة - من سيفرغ الجرس - فلسطيني - بولندي في جبل المغارة - دبابة أحمس - حدث في خان يونس.

الطبعة الثانية . يناير ١٩٩٩ - إقليم شرق الدلتا الثقافي - المنصورة . وتحوي بالإضافة إلى قصص الطبعة الأولى القصص التالية : المصريون قادمون - تلك اللحظة من حياة الإنسان - قنص الدبابات - قوة مصرية ٩٧ - غارة - السويس مدينة مغلقة.

٢- حمام أم الرشراش . مجموعة قصصية . أدب الجماهير / يونيو ٢٠٠٦ . وتحوي قصص : غراميات أومباشي - الأمر الواقع - شريطان - نجمة سيناء - سلموا أنفسكم للمصريين - الشيطان لا وقت للكلام - قصص الحرب - العزالة - حمام أم الرشراش - زعل مريكة

٣- المحاصرون . رواية . طبعتان - أدب الجماهير - أغسطس ١٩٧٢ و ١٩٨٧ المنصورة

٤- رجال وجبال ورصاص : رواية . طبعتان - أدب الجماهير - يونيو ١٩٧٢ ، ١٩٩٧ المنصورة

٥- الأسرى يقيمون المتاريس : رواية ٦ طبعات - أدب الجماهير - فبراير ١٩٧٦ ومايو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٥ وسبتمبر ١٩٨٧ وديسمبر ١٩٩٥ وأكتوبر ٢٠٠١ .

٦- الرقص على طبول مصرية (رواية) . طبعتان ثقافة الدقهلية - ديسمبر ٢٠٠٠ المنصورة وأدب الجماهير - أكتوبر ٢٠٠١ المنصورة .

٧- أنهم يقتلون الأسرى (إبداع الحرية ٢٠٠٠) شهادات الأسرى المصريين في الحروب مع إسرائيل مقدم لمحكمة رأي دعا إليها اتحاد الكتاب العرب) .

٨- سفر الحرب والمقاومة - دراسات تاريخية ، سلسلة إبداع الحرية . مايو ٢٠٠٥

صدر للمؤلف

قصص قصيرة

- سلامات – طبعتان . أدب الجماهير – نوفمبر ١٩٦٩ – إقليم شرق الدلتا الثقافي – ينـــاير ١٩٩٩ .
- كراكيب –٣ طبعات –أدب الجماهير سبتمبر ١٩٧٠ وسبتمبر ١٩٨٣وفبراير ١٩٨٧.
- سجناء لكل العصور – طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٧٧ وأكتوبر ١٩٨٧ .
- الزمن المستباح – ٣ طبعات . أدب الجماهير . مارس ١٩٧٨ وأغسطس ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٦ .
- النيل ينبع من المقطم . مواهب . فبراير ١٩٨٥ .
- كحكة للصبي . دار النديم . يونيو ١٩٩٠ .
- حمام أم الرشراش – أدب الجماهير – يونيو ٢٠٠٦ .

الرواية

- شارع الخلا .٣ طبعات . أدب الجماهير . أكتوبر ١٩٦٨ وأكتوبر ١٩٧٩ وأكتوبر ١٩٩٥.
- نافذة علي بحر طناح – ٣ طبعات . أدب الجماهير فبراير ١٩٧٦ – الثقافة الجديدة ١٩٧٩ – فرع الثقافة بالدقهلية مارس ١٩٩٩ .
- المحاصرون . طبعتان . أدب الجماهير . أغسطس ١٩٧٢ و ١٩٩٧ .
- رجال وجبال ورصاص . طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٧٢ و ١٩٩٧ .
- الأسري يقيمون المتاريس . ٦ طبعات. أدب الجماهير . فبراير ١٩٧٦ ومايو ١٩٧٩ ويونيو ١٩٨٥ و سبتمبر ١٩٨٧ وديسمبر ١٩٩٥ وأكتوبر ٢٠٠١
- العمرة – طبعتان . أدب الجماهير . أكتوبر ١٩٧٧ وديسمبر ١٩٩٦.
- القرفصاء . ٣ طبعات . أدب الجماهير . مارس ١٩٧٨ وفبراير ١٩٩٢ . دار الوفاء بالإسكندرية. أغسطس ٢٠٠٠ .
- متهمون تحت الطلب . ٣ طبعات . أدب الجماهير. مايو ١٩٨١ ويناير ١٩٨٥ . وزارة الثقافة بسوريا ١٩٨٢ .
- عنقودة وسمرة– طبعتان – إقليم شرق الدلتا الثقافي – ديسمبر ١٩٩٦ . أدب الجماهير. أكتوبر ١٩٩٩ .
- الرقص علي طبول مصرية – طبعتان – ثقافة الدقهلية - ديسمبر ٢٠٠٠ – أدب الجماهير أكتوبر ٢٠٠١ .
- صهيل المحارم – إبداع الحرية – نوفمبر ٢٠٠٣ م .

المسرح :-

- الناس اللي ما معاهاش . مسرحيتان من فصل واحد . طبعتان . أدب الجماهير . أبريل ١٩٧٢ ومايو ١٩٨٤ .
- حاملات البلاليص . مسرحية في ٣ فصول . أدب الجماهير . يونيو ١٩٨٦ .
- عفوا رئيس الديوان - ٥ مسرحيات من فصل واحد . أدب الجماهير . مارس ١٩٨٧ .

★ ★ ★

- أوراق أدبية . طبعتان . أدب الجماهير . ديسمبر ١٩٨٠ . ثقافة الدقهلية - ديسمبر ١٩٩٨ .
- أوراق نقدية . إقليم شرق الدلتا الثقافي . ديسمبر ١٩٩٨ .
- المنصورة تصنع التاريخ . إبداع الحرية . يونيو ٢٠٠٢ .
- إنهم يقتلون الأسرى . إبداع الحرية . أغسطس ٢٠٠٢ .
- الجمال في قصص الأطفال - ثقافة الدقهلية - مارس ٢٠٠٣
- **سفر الحرب والمقاومة — إبداع الحرية — مايو ٢٠٠٥**

أدب الطلائع

- حلوان شامة . قصة طويلة . ٣ طبعات . أدب الجماهير . فبراير ١٩٨٣ وأكتوبر ١٩٩١ . رؤيا بالإسكندرية مع دار آزال ببيروت تحت اسم (حكاية الأمير سيف والأميرة شامة) . فبراير ١٩٩٠ .
- أمن الذئاب . قصة طويلة . رؤيا . نوفمبر ١٩٨٨ .
- تعظيم سلام . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . يونيو ١٩٨٩ . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مارس ١٩٩٥ .
- الأسد ينظر في المرآة . قصص . الحقيقة . فبراير ١٩٩٠ .
- شجرة الدر تتلقى الأمانة . رواية . طبعتان . أدب الجماهير . مايو ١٩٩٠ . هيئة الكتاب ١٩٩٥ .
- بنات رشد . مسرحية . هيئة الكتاب . نوفمبر ١٩٩٠ .
- تمرد رئيسة البنائين . قصص . طبعتان . أدب الجماهير . أغسطس ١٩٩١ . يافا للدراسات والأبحاث ١٩٩٢ .
- براءة مارية القبطية . قصة طويلة . أدب الجماهير . سبتمبر ١٩٩٣ .
- مجلس الملكات . قصص . قطر الندي . أغسطس ١٩٩٦ .
- زفاف تحت الماء . قصص . طبعتان . كتاب الهلال . أبريل ١٩٩٩ وتحت اسم (طنبور البجع تضحك) . إقليم شرق الدلتا الثقافي . مايو ١٩٩٨ .
- النورس اللص . قصص . قطر الندي . أبريل ٢٠٠٢ .
- الشمبانزي يمص القصب . ثقافة الدقهلية . مايو ٢٠٠٢ .
- البلبل والسمكة الفضية — قصص — أدب الجماهير — يونيو ٢٠٠٥

صدر حديثا ..

• انحسار اللون الأخضر	قصص	الحسيني خلف
• حبك صعب	شعر	عبد الحكم مندور
• عصر الأقمار	شعر	عبد الحكم مندور
• البلبل والسمكة الفضية	قصص للأطفال	فؤاد حجازي
• رائحة البيوت	رواية	أشرف حسن عبد الرحمن
• صالون برلين	رواية	السعيد أحمد نجم
• رسالتي إليك	شعر	عباس الشرقاوى
• تكات الخريف	قصص قصيرة	صابرين الصباغ
• ايطاليا أو الغرق	رواية	السعيد أحمد النجم
• ما قالته نظرتها الأولى	شعر فصحي	صابر معوض
• نهاية رحلة الأحلام	قصص قصيرة	محمد خيرت حماد
• لن أكون سبية	شعر	راندا الجندي
• أين نحن وإلى أين نتجه	مقالات	صبرى قنديل
• إلى هذا الحد..؟! ، ط٢	قصص قصيرة	محمد خيرت حماد
• أحلام على الطريق ط٢	قصص قصيرة	محمد خيرت حماد
• كبر داء	شعر عامية	د. عصام زكي الغنام
• هانت الأفراح	شعر عامية	سلطان البهوتى
• لا عليكِ	شعر فصحى	عبد الناصر الجوهرى
• حمام أم الرشراش	قصص قصيرة	فؤاد حجازي

رقم الإيداع بدار الكتب
2006 /10548
الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 374- 194- ×

دار الإسلام للطباعة والنشر
0122614363 - 050/2266220